13

فلسطين للعرب

تأليف

عبد الغفار الجبار

١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

طبع بدار الكتاب العربي بمصر

شارع فاروق — تليفون : ٥٠٩٣٨

فلسطين للعرب

تأليف

عبد الغفار الجيار

الثمن ١٥ قرشا

١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م

طبع بدار الكتاب العربي بمصر

شارع فاروق — تليفون : ٥٠٩٣٨

الاهداء

مولاى صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

آياتكم السامية يا مولاى :

« وأبعث بتحياتى الى فلسطين العربية ، التى تفرد منا بالعطف والتأييد فى نضالها ، حتى يعود الحق الى نصابه ويأخذ العمل مجراه » . سرت فى العالم العربى جهادا وحرية ، فاليكم — يا حامى العروبة — فلسطين للعرب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على صاحب الإسراء ، وعلى إخوانه الأنبياء ، وآله وأصحابه الأصفياء ، وأتباعه المجاهدين الشهداء ، وبعد : فإن مشكلة فلسطين لم يرو لها التاريخ مثيلا ، إذ حاولت الصهيونية مستحيلا وقامت بدعايات فى العالم الغربى تضليلا : « إن إبراهيم كان لربه خليلا ، وقد وعده الله أن تكون فلسطين لنسله جيلا فجيلا ، ونحن شعب مطهد فأعينونا بقوة ، لننشىء فى فلسطين دولة ، تجمع اللاجئين وتكون لكم فى الشرق بنا صولة ، وقد وعدنا على لسان الأنبياء بعودة وجولة ، وقام الغرب على الشرق بحملة ، فلماذا لا نشارككم فى استعمار أرض القبلة ؟ ويعود إسرائيل يأخذ من فلسطين الثمار والغلة ، ثم يمتد إلى حدود مصر ودجلة ، وقد بذلنا لكم الذهب الثمين بكثرة لا بقلة ، وكنا لكم على الجرمان فى الحربين طابوراً خامساً وعلة ، وقد وعدنا بلفور كأهل ملة » ! ! !

وعلماء الأجناس يقررون أن اليهود اليوم لا يمتون لإبراهيم بأى نسب ، إنما هم أبناء الأقطار التى هم فيها بالتناسل والعصب ، وفلسطين منذ فجر التاريخ للعروبة والعرب ، والعودة التى وعدهم بها الأنبياء قد تحققت من بابل منذ حقب ، وتم ظهور مسيح الحكمة والأدب ، لا مسيح الإرهاب والفتنة والذهب ، وإن كنتم فى الأقطار التى تنسبون إليها مثال الشغب ، فما ذنب فلسطين يصيبها من أجلكم هذا العطب ،

وبلفور لم يكن لفلسطين مالك أو أب ، فليعطكم فى بلاده هذا الطلب ، وتريد الصهيونية أن تجعل دول الاستعمار حكما بالإغراء والخطب ، ولكن العروبة تدرك أن الجهاد هو العصب والسيف أصدق أنباء من الكتب .

يستغلون الحكومات الغربية فى الانتخابات والحروب والأهوال ويدلسون على الشعوب المسيحية بالمسكنة والأقوال ، والحكومات تمد إليهم أيديهم طمعاً فى النوال ، والشعوب تريد التخلص منهم بالانتقال ، وهؤلاء وأولئك يخلقون لتلك الأرض المقدسة الاضطراب والإشكال وينسون أن هذه ستكون موضع الداء العضال ، للغرب والشرق والسلم بغير جدال ، والعربى حر أبى لا يدين بغير الاستقلال ، ولا يرضى أن يفرط فى شبر من أرضه هذا محال وأى محال ، وسيشهد العالم أجمع حرباً مقدسة ليس لها من مثال ، يتأهب لها الشرق والعالم العربى منذ أجيال ، ويرمى بالنير الأجنبى ويستأصل المستعمر كل الاستئصال ، فيا هيئة الأمم تيقظى فقد ضربنا لكم الأمثال ، وهذه المشكلة الظالمة إن لم يكن للحق فيها مقال ، فسترين العروبة قد حلت معضلتها بجيوش ثقال ، ويومها تفنى الصهيونية والاستعمار وقد أقسمتم من قبل ما لكم من زوال .

والتاريخ يحدثنا أن السبب فى تشتيت اليهود كان تمسكهم بالدولة ، والله لا يريدها لهم أبداً لأنهم يرهبون بصولة ، ويكونون مثاراً للشغب أفراداً وجملة ، ولولا أن كتب الله عليهم الجولة ، لكانوا أكثر وباء وعلة ، وسترى فى تاريخهم مما أحدثك عجباً ، فالإباحية والإرهاب والجشع كانت لتشريدهم سبباً .

وها هم اليوم لم تكد تتجمع منهم قلة بفلسطين ، حتى ضج العالم من فظائع الإرهابيين ، وقد تحسبهم جميعاً وهم فى الحصون ، ولكن قلوبهم شتى طوال القرون ، يجمعهم الجشع ويفرقهم بجنون ، لأنهم لعجل الذهب مازالوا يعبدون ، وقد قال لهم السيد المسيح كيف بين الله والمال تجمعون ، وترى الدول الكبرى لما ضاقت ذرعاً بالإرهابيين ، لجأت إلى الوكاله اليهودية لعلهم إليها يسمعون ، كلا فالإرهاب سجيتهم وهو فيهم الداء الدفين ، وهم اليوم خليط كالوقود فى الأتون ، فإن لم يجدوا حطباً كانوا هم المحرَّقين وغداً يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، والعروبة سترى العالم ماذا يكون .

وهذا كتاب لم أكتبه للعالم الإسلامى فحسب ، بل كتبته للعالم أجمع لمن كان له قلب ، كتبته للنصارى ليدركوا الخطب ، ولليهود ليعلموا أن الصهيونية لهم كرب ، ولهيئة الأمم لتعلم أن فى فلسطين شرارة الحرب وكتبته للقسوس ليفهموا يوحنا اللاهوتى فى رؤياه ، وأنه أشار إلى الصهيونية بالتنين الفاتح فاه ، وكتبته لعقلاء اليهود ليعلموا أن المسيح عيسى بن مريم قد جاء بآيات الله ، فلماذا ينتظرون مسيحاً سواه ، ولذا جعلت عمدتى فى كتابى من يقدسونه من الرواة .

وكتبته للمسلمين ليعلموا بماذا يختمون الصلاة .

وأن فتنة الدجال هى الصهيونية ليطاردوها بغير أناة . فجاهدوا ياقوم لتنالوا الحياة ، وابذلوا أموالكم فى سبيل الله — وأنقذوا أرضكم من العداة ، وكونوا الأساطيل وطاردوهم فى المياه ، وكونوا الشركات ودرسوا المخترعات ليظل لكم الجاه ، وأعدوا ما استطعم من قوة فقد

كتب الله لكم النجاة ، وقد تنبأ لكم منذ أربعة عشر قرناً رسول الله « لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى خلفى ، تعال فاقتله[1] » ويومئذ ترتلون قول الله .

« هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ »

(سورة الحشر)

عبد الغفار الجبار

---

(١) ص ١٠٠ ج ٤ تيسير الوصول .

إبراهيم الخليل

أفضل نعمة على الإنسانية ، تشريع الله فى الأديان الكتابية واليهودية دين من تلك الأديان السماوية . أما الصهيونية فأسطورة خرافية . نسجت من الخيال أوهامها ورقعت بالأكاذيب سربالها ، وأساءت التاريخ بأفعالها ، ثم صار الاستعمار أفعى لها . فتباله وتبالها !!

زعموا أن فلسطين وطنهم ، لأن إبراهيم كان أبا لهم والتاريخ كان عليهم لالهم ؛ ألم يسودوا صفحاتهم ويغضبوا العالم بفسادهم ، ويقتلوا الأنبياء بظلمهم حتى شتتوا إلى الأبد بإرهابهم ، والنبوة لا تعرف لها أبناء إلا البررة دون الفجرة ، والمسالمين غير الإرهابيين وفى سفر التكوين « وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية وتتبارك به جميع أمم الأرض لكى يوصى بنيه من بعده أن يحفظوا طريق الله ليعملوا برا وعدلا لكى يأتى الله لإبراهيم بما تكلم به ص ١٨ .

وفى القرآن الكريم « وإذْ ابتَلَى إبراهِيمَ رَبُّه بكَلِمَاتٍ فأَتَمَّهُنَّ قال : إنى جَاعِلُكَ للنَّاسِ إماما قال ومِنْ ذُرِّيَتى قال . لا ينال عَهْدِى الظالِمين » ١٢٤ سورة البقرة .

على أنهم ليسوا أبناء إبراهيم وحدهم كما يزعمون ، بل المسيح وأتباعه إسرائيل الجديد ولو يكذبون ، والعرب سلالة إسماعيل بكر إبراهيم الوارث كما يشرعون وفى سفر التثنية الذى منه يقننون : إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة .

فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ماكان له لايحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية » ص ٢١ .

وإبراهيم كان ذا دعوة عالمية ، فانتقل بها من العراق إلى الشام إلى الأقطار الحجازية ، واليهود انكمشوا على أنفسهم بعصبية ، ولم يكونوا إلا أعداء البشرية ، ومنعوا عن الله من أراد الدخول فى الحظيرة القدسية ، حسدا وغرورا وأنانية ، وجاء الإسلام يدعو العالم إلى الأخوة والنور والإنسانية ، فتباركت به جميع الكرة الأرضية ، وكان الإسلام هو إبراهيم دين الوحدة والوحدانية ، يوصل الناس إلى ربهم من غير فروق جنسية .

والعرب من أقدم الأمم حضارة ومدنية ، وما دولة حمورابى بالعراق إلا عربية[1] ، وفيها كانوا أسبق الأمم إلى وضع القوانين التشريعية ، ومن بينهم هاجر إبراهيم بلغتهم القومية . فكان من الميسور عليه أن يطوف بأنحاء الجزيرة العربية ويرحل إلى مصر فيجد الأعراب قد ملكوها ، ثم يعود إلى قلب الجزيرة فيبنى الكعبة ويدعو الناس ليقدسوها ، وكأنه يضع الحجر الأساسى لسيادة عروبة قد ورثوها .

ويقول جورجى زيدان : « أما مصر فقد نزح الساميون إليها من الشرق ، ولذلك ما برح المصريون منذ القدم يسمون بلاد العرب

---

(١) ص ٥١ تاريخ العرب قبل الإسلام .

الأرض المقدسة أو أرض الآلهة ، وكانوا يسمون أهل البادية من الساميين (شاسو) أى البدو وهم العرب أو العربى عند البابليين والمعنى واحد فهؤلاء البدو أو الرعاة كانوا يتنقلون فى شرق وادى النيل حتى سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر وملكوها ويؤيد ذلك يوسيفوس المؤرخ الإسرائيلى ومانثون المؤرخ الإسكندرى وفى أيامهم جاء إبراهيم من دولة حمورابى العربية إلى مصر وكان يحكمها العرب ، كما جاء يوسف أيضا وإخوته[1] » .

فإبراهيم كان من الأرومة العربية ، وكانت ديانته سمحة عالمية غير شعوبية ، ولم يعرف هذه المعقدات من التقاليد اليهودية : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا » .

فأحق الناس بإبراهيم الخليل ، أبناء ابنه البكر اسماعيل وما دين الإسلام إلا ملته ، وما العروبة إلا أسه وأمته وما العالمية إلا آماله وأمنيته ، وفى العرب تحققت وعوده وبغيته قال الكونت هنرى دى كاسترى : « إن الإسلام خرج من ذرية إسماعيل وسرى فى الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية إسحاق ، ونحن نعلم أن الله قال لإبراهيم عن إسماعيل إنه سيبارك فيه ويكثر نسله كثيرا وكرر له ذلك بقوله إنه تخرج من صلبه أمة كبرى لكونه نسلك وأعاد هذه البشرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذى نجا فى الصحراء وقصة ظهور الملك إلى هاجر من أجمل الروايات ولهف الأم على ولدها من ألطف ما يقال « ولما فرغ

(١) ص ٥٩ العرب قبل الإسلام .

الماء من القربة . رفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : لا تخافى لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء[١] » .

ثم يقول الكونت هنرى : ولقد ارتعشت يدى عند ما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كى أنقل الآيات التى سطرتها ولولا ما قاله الأب بروغلى من أن تقدم الإسلام أمر مندرج تحت ما بشر به أبو المؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الإسلام ولا ذهبت أن فى انتشار هذا الدين سرا من الأسرار الربانية[٢] » .

ويهود اليوم ليس لهم بإبراهيم أى اتصال . فقد شردوا من عهد الرومان ذات اليمين وذات الشمال ، واختلط دمهم بالشعوب على مر الأجيال ، ودخل بينهم ألوان من الأجناس وأشكال ، ويقول بتار أستاذ علم الأجناس فى جامعة جنيفا ، « إن جميع اليهود بعيدون كل البعد عن الانتماء إلى الجنس اليهودى القديم . إن اليهودية عبارة عن طائفة دينية ، انضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ، وهؤلاء المتهودون جاءوا من جميع الآفاق ، ومن العسير أن تتصور أن اليهود ذوى الشعر الأشقر الذين نلقاهم كثيرا فى أوربا الوسطى يمتون بصلة القرابة — قرابة الدم — إلى أولئك الإسرائيليين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن » .

---

(١) سفر التكوين ص ٢١ .
(٢) ص ٩٣ الإسلام خواطر وسوانح .

وبعد أن يذكر الأستاذ بتار أن عدد اليهود فى العالم لا يقل عن اثنى عشر مليونا يتساءل . أيمكن أن يكون هذا العدد الهائل قد توالد مع الاضطهاد والمذابح من أولئك الخمسين ألفا الذين شردوا فى عصر أريانوس ، ثم يرد : « إن هنالك مجموعات كاملة قد تهودت وأضافت جموعها الضخمة وصفاتها الجسدية إلى الفريق الإسرائيلى[١] » .

فلسطين والتاريخ

فلسطين قطعة من الجزيرة العربية . لا يفصلها عنها فاصل من جهاتها الأصلية ، فلا غرو أن يسكنها أقوام منذ القدم : يجمعهم بالعروبة تقارب اللسان والدم ويقول هيرودتس : « فى التاريخ القديم كان يسكن العرب فى بادية العراق والشام وفلسطين وشبه جزيرة سينا وما يتصل بها من شرقى الدلتا والبادية الشرقية بمصر[٢] » . وتشهد الوثائق المصرية القديمة بأن فلسطين كانت موطناً للعروبة[٣] .

وكان العرب يسمون بلادهم جزيرة ، ويحيطونها بالماء من كل الجهات . فالشام وفلسطين والحجاز واليمن والعراق ، أرض عربية والعلاقات بين هؤلاء السكان كانت متصلة طوال التاريخ ، ويذكر سفر التكوين أن الذين باعوا يوسف إلى عزيز مصر هم الإسماعيليون ، وترى حزقيال النبى فى القرن السابع قبل الميلاد يخاطب مدينة صور الفينقية قائلا : « العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجار يدك » ص ١٧ .

---

(١) الأجناس والتاريخ ص ٤١٣ فرنساوى .

(٢) هيرودتس ص ١١٠ .   (٣) هلال يوليو سنة ٤٧ ص ٣٧ .

ولم تكن صلة اليهود بفلسطين إلا كموجة وقتية ، رحلوا إليها كقبيلة ترحالية ، ولم ينشئوا دولة تسيطر على السكان الأصليين ، كما هو المعروف فى التاريخ عن الحكام الفاتحين ، بل ظلوا تحت سيطرة الفلسطينيين والكنعانيين ، والتاريخ شاهد عدل أمين : على أنهم خرجوا من عبودية المصريين تحت قيادة موسى الكليم ، وبينما كان عليه السلام يتلقى التوراة كانوا يركعون أمام حوافر عجل من ذهب .

ولقد شرع الله لهم قوانين نوراً وهدى ، فإذا كان هناك عداوة من اليهود للورى ، فهذا على غير إرادة دينهم وبرغمه ، ولكن الغرور ملأ رءوسهم حتى سموا أنفسهم شعب الله المختار ، وتأججت فيهم نار الأنانية الجنسية ، وغلبت عليهم المادة وطبعوا على عداوة الإنسانية ، وظنوا أن الله سبحانه إله محاباة لهم ، يبغض الشعوب أمامهم فلا يؤاخذهم بجرمهم ، مع أن الله سبحانه ختم التوراة بإنذارهم « إن لم تسمعوا لى وكرهت أنفسكم أحكامى فإنى أعمل هذه بكم أذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف ، والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم ، فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم[١] » .

فإن كان لهم وعد فى التوراة فهذا وعدهم ، وإن كانت قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة فبظلمهم ، ولما حاول موسى نبيهم ، أن يأخذهم من

(١) لاوبين ص ٢٦ .

الصحراء إلى حضر يضمهم ، يأكلون فيه ما اشتهته بطونهم ، ويقيمون فيه الشريعة ويعبدون ربهم ، ثاروا وتذمروا جبناً ووهناً . حتى كتب اللهم عليهم التيه أربعين سنة ، ذاقوا فيها البؤس والمسكنة ، ومات فى أثنائها موسى كارهاً لهذا الشعب العنيد ، وكانت آخر كلمة لفظها هذا التذبؤ الشديد « أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، وهوذا وأنا بعد حى معكم قد صرتم تقاومون الله فكم بالحرى بعد موتى ، أنا عارف أنكم تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام[1] » .

ولقد كان عليه السلام أعرف الناس بهم ، وأول من اكتوى بنارهم ، ولقد حقق التاريخ نبوءته فيهم .

وتسرب اليهود مع يوشع إلى جزء يسير من فلسطين ، ولم يكونوا كالغزاة الفاتحين ، وإنما كالرحل المتسربين ، فلم ينشئوا دولة كالمستعمرين ولم ينشروا مبدأ كأهل دين . بل تراهم تأثروا بالسكان الأصلين لأنهم كانوا أرقى من اليهود حضارة ومدنية . واليهود طوال عمرهم فى عبودية سواء لدى الأمة المصرية أو الفلسطينية . وكأنهم خرجوا من ذلة فرعون إلى فلسطين للاستعباد والهون . ولم ترفعهم شريعة الكليم . ولذا فقد عبدوا البعليم كما استعبدوا لكل نازح ومقيم ، ونترك سفرهم يقص تاريخهم القديم !

« فعل بنو إسرائيل الشر وعبدوا البعليم ، فحمى غضب الله عليهم فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعوهم بأيدى أعدائهم حولهم ولم يقدروا

---

(١) تثنية ص ٣١ .

بعد على الوقوف أمام أعدائهم حيثما خرجوا كانت يد الله عليهم للشر كما تكلم الله وكما أقسم لهم . وقال : من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدى فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنساناً من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته[1] » .

« فسكن بنو إسرائيل فى وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوبيين واليبوسيين ، وعبدوا آلهتهم فباعهم بيد كوشان ملك آرام النهرين ، ثم عبدوا ملك مؤاب[2] » .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فباعهم الله بيد ملك كنعان[3] »

« وعمل بنو إسرائيل الشر فدفعهم الله ليد مدين[4] » .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر ، وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينين . فحمى غضب الله على إسرائيل ، وباعهم بيد الفلسطينين وبيد بنى عمون فحطموا ورضضوا بنى إسرائيل[5] » .

وبينما كانت الحكومات النازلين بجوارها ، تصليهم بنارها وسيطرتها كانوا هم يشتغلون بالإرهاب فى بعض ، وبالإباحية وهتك العرض[6] .

وراجع إن شئت سفر القضاة الذى ختم بهذه الجملة « فى تلك الأيام لم يكن ملك فى إسرائيل كل واحد عمل ما حسن فى عينيه » .

أرأيت أن شخصية السكان الأصليين ، بقيت بارزة هذه القرون وظل اليهود مستعبدين ، ولم تصطبغ البلاد بهم لا فى الدنيا ولا فى

---

(١) قضاة ص ٢ . (٢) قضاة ص ٣ . (٣) قضاة ص ٤ .
(٤) قضاة ص ٦ . (٥) قضاة ص ١٠ . (٦) قضاة ص ٢١ .

الدين ، ويحدثك إسرائيل ولفنسون : إن بنى إسرائيل بعد توغلهم فى فلسطين بقوا زمناً غير قليل محتفظين بصفات ومميزات سكان الصحارى فى أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ونفورهم من كل أنواع التغيير والتجديد « وقد مضى عليهم قرون عدة وهم فى همجيتهم الأولى[1] » .

وظلوا فى هذه الهمجية ، قروناً عدة وهم فى العبودية ، ثم طلبوا من النبي صموئيل ملكا كالشعوب ، فساءه هذا الطلب لأنه لا يصلح لهم ولا يصلحون له ، فأوحى إليه « اسمع لصوت الشعب لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا[2] » . فاضطر أن يقيم شاول (طالوت) ملكا ، إلا أنه لم يكن على وفاق مع الكهنة حتى فتك بعدد كبير فساعد من بقى منهم داود على تولى العرش فى القرن العاشر قبل الميلاد فى جزء من فلسطين ، وكان نبياً حكيما تحصن فى أورشليم ، وتغلب على الفلسطيين ، ولكن قامت ضده ثورة إرهابية عنيفة بقيادة ابنه أبشالوم ، زلزلت ملكه الحديث من أركانه . ثم كانت معركة حامية ، قتل فيها أبشالوم ورثاه والده[3] .

وفى أيامه حدثت مجاعة ثلاث سنين . ثم حدث وباء شديد سقط منه سبعون ألف رجل[4] .

وخلف داود ابنه سليمان سنة ٩٦٠ ق م ، وكان له صلح مع الملوك حواليه فصاهر فرعون ملك مصر وتاجر مع حيرام ملك صور المدينة الفينيقية الكبيرة ، واتصل بملكة سبأ وقام ببناء بيت الله بأورشليم ،

---

(١) تاريخ اليهود ص ٥ .
(٢) صموئيل أول ص ٨ .
(٣) صموئيل ٢ ص ١٨ .
(٤) صموئيل ٢ ص ٢٠ .

ولما أتمه أوحى الله إليه « قدست هـذا البيت الذى بنيته لوضع اسمى فيه إلى الأبد ، إن كنتم أنتم وأبناؤكم لا تحفظون وصاياى فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ، ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويصفر[1] » .

ولا تظنن أن فلسطين ، أيامه خلت من غير الإسرائيلين ، بل ظل السكان الأصليون فى قوة ، وإنما أدوا لسليمان الجزية .

ويقول سفر الملوك أول « جميع الشعب الباقين من الأموريين الذين ليسوا من بنى إسرائيل ، أبناؤهم الذين بقوا بعدهم فى الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد» ص٩ على أن هؤلاء الشعوب الأصليين ، ظلت لهم حضارة أعجبت سليمان واستمالته مما جعلهم يتطاولون عليه وهو برىء مما نسبوه إليه[2] .

وإن كان قد تسرب إلى كرسيه تماثيل أهل البلاد الأصليين أو المجاورين فقد يكون بمكيدة من أفراد شعبه ، لم يلبث أن أبعدها ، وملكه لم يك صافيا من مشاغبة الإرهابيين أو الملوك المجاورين وسفر الملوك أول يحدثك : وأقام الرب خصما لسليمان هدد الأدومى ، كان من من نسل الملك فى أدوم وأقام الله له خصما آخر رزون الذى هرب من عند سيدة ملك صوبة فجمع إليـه رجالا ، فانطلقوا إلى دمشق وأقاموا بها وملكوا فى دمشق ، وكان خصما لإسرائيل كل أيام سليمان مع شرهدد ، فكره على إسرائيل وملك على آرام .

(١) ملوك أول ص ٩ .	(٢) ملوك أول ص ١١ .

وبربعام عبد لسليمان رفع يده على الملك وهرب إلى مصر ص ١١ .

ولقد أدرك هذا الملك على الفناء سريعا بوفاة سليمان ، وما كان أسرع زواله لأن هذا الشعب لا يصلح للملك ولا الملك له ولله در القائل :

عيشى فلسطين فى أمن وفى دعة — فمعجزات سليمان لها عهد
قد قال رب هب لى قال بملكة — على اليهود وتم الموقف الفرد
لا ينبغى لسواه بعده أبدا — تجميع من ربهم فى المصرف النقد[1]

وكان ملك سليمان قائما على المعجزات الإلهية ، قبل أن يقوم على السنن الطبيعية فالجن مسخرة له ، والرياح تجرى بأمره ، والطير تحدثه ويحدثها ، فأساس هذا الملك كان خوارق العادات ، وكم تفعل الخوارق فى روح الجماعات ، حتى إذا مات الملك والنبى سليمان ظلوا ينتظرون ملكا يغير سنن الأكوان ، ويسخر الريح والطير والجان لم يكن فى الإبداع أحسن مما كان ، فبموته انهار ملكهم من أساسه ، ولم ينبغ لأحد منهم من بعده جمع المعجزة بالسياسة ، وهم شعب قد تربى من أول يوم على المعجزات الحسية ، وأصبحت عقليتهم قلب الأوضاع الكونية ، كما طبعوا على الإرهاب والإباحية مرتدين إلى عهد الهمجية ، والشعوذة السحرية . لعلهم يعيدون المملكة السليمانية .

---

(١) الرسالة عدد ٧٠٦ .

إلى بابل

بعد سليمان انقسموا على أنفسهم فى بقعة ضيقة ، إسرائيل فى الشمال بمنطقة ، ويهوذا فى الجنوب بمنطقة ، والعداوة بينهما مستمرة والحروب نارها مستعرة ، والأهالى الأصليون أكثر منهم قدرة وقد سيطروا على اليهود بمدنية وسخرة ، ونسى اسرائيل أنه صاحب فكره ، فعبد البعليم عشية وبكرة ، وناداهم إيليا (إلياس) النبى إن هذا عار وخزى « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الأولين ، فكذبوه فكانوا من المدحضين » وكاد يمحى إسرائيل بالآثام ، وأخضعه ملك آرام ، ويقول سفر الملوك الثانى « فحمى غضب الله على إسرائيل فدفعهم ليد حزائيل ملك آرام وابنه كل الأيام . . . ولم يبق شعبا إلا خمسين فارسا وعشرة آلاف راجل لأن ملك آرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس » ص ١٣ .

واستولى الأشوريون على إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م ورحلهم إلى بلاده واستمع إن شئت إلى سفر الملوك الثانى : وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الله ، وسلكوا حسب فرائض الأمم ، وعملوا أمورا ليست بالمستقيمة وأقاموا لأنفسهم أنصابا ، وعملوا أمورا قبيحة وعبدوا الأصنام ، وأشهد الله على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء . فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم ورفضوا فرائضه وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الله ألا يعملوا مثلهم ، وعبدوا البعل فغضب الله على إسرائيل ونحاهم من أمامه فسبي إسرائيل إلى أشور » ص ١٧ .

وأراد سنخاريب الاستيلاء على يهوذا بأورشليم ، ولكن اشعياء النبي تنبأ بأنه لن يفلح ، وقد تحققت تلك النبوءة إذ فتك بجيش سنخاريب طاعون مبيد ، ولكن ظهر لهم خطر أشد إذ استولى نابوخد ناصر على أورشليم سنة ٥٨٦ وهدم الهيكل واقتادهم إلى بابل ويعلل أخبار الأيام الثانى هذه العقوبة « إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الله ، فأرسل إليهم عن يد رسله مبكرا ، فكانوا يهزءون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ، وجميع آنية بيت الله أتى بها جميعا إلى بابل ، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم ، وأحرقوا جميع قصورها بالنار وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس لإكمال كلام الله بفم إرميا حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت فى كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة » ص ٣٦ .

وفى الأسر ذاقوا الضيم وانكسرت نفوسهم وبكوا إلى ربهم وعندما استولى كورش ملك الفرس على بابل عاد اليهود إلى أورشليم وبنوا معبدهم ولكن ملكهم لم يعد ، بل ظلوا أقلية فى جزء يسير حول أورشليم ولم تكن البلاد قد اصطبغت بصبغتهم فى يوم من الأيام حتى أنهم ما كادوا يعودون إلا وقد وجدوا لغتهم قد ضاعت إذ ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية وهى الآرامية ، فأخذت العبرية تضمحل وصار اليهود يتخاطبون بالآرامية ، ويقول نحميا فى سفره « فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب » ص ١٣ .

فى انتظار المسيح

عادوا إلى أورشليم خاضعين لدولة الفرس مرتجفين من الشعوب حولهم الذين كانوا ينظرون إليهم كشىء غريب ، وقدى فى فلسطين ويحدثك عزرا « وكان شعب الأرض كتبوا شكوى على سكان يهوذا وأورشليم (إلى ملك الفرس) والرسالة مكتوبة : إن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا . قد أتوا إلى أورشليم ، ويبنود المدينة العاصية الردية ، وقد عملوا عصياناً فى وسطها منذ الأيام القديمة » ص ٤ .

ويقول نحميا أيضاً « ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رممت غضبوا جداً وتآمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم فصلينا إلى إلهنا » ص ٤ .

وجاءهم اسكندر المقدونى وهو يضمر لهم الشر لارتمائهم فى أحضان الفرس ، ولكن الحاخام استقبله بموكب حافل وسلموا أنفسهم له على أنه لم يستطع أن يقهر دولة الأنباط العربية بالشام[1] كما امتنعت عليه جزيرة العرب .

أما اليهود فظلوا تارة تحت إمرة ملوك مصر البطالسة ، وطوراً تحت ملوك الشام اليونانيين ، واستطاع يهوذا المكابى أن يكون له جماعة تناوئ اليونانيين إبان ضعفهم واستقل بأورشليم ، ولكن الحوادث الإرهابية والفتن الدينية بين مذهب الفريسيين والصدوقيين سلمتهم إلى عبودية الرومان ، ويقول يوسيفيوس « إن يوليوس مضى إلى الصدوقيين واستنهضهم

(١) جورجى زيدان ص ١٨٧ .

على محاربة أخيه هركانوس والفريسيين ، فخرج هركانوس إلى هريمة ملك الأعراب . فسار معه فى عسكر كبير ونزلوا المدينة ، ولما علم بمبوس الرومانى وكان بالشام . فقدم إلى المدينة بعسكره ، وجعل على اليهود خراجا يحملونه إلى رومية كل سنة[1] » .

ومملكة الأعراب التى يشير إليها المؤرخون هى دولة الأنباط العربية ، وهريمة ملك الأعراب هو المسمى الحارث الثالث ، ويقول جورجى زيدان : لهذا الحارث شأن عظيم فى تاريخ هذه الدولة لأنه تغلب على البقاع بسوريا ، ودعاه الدمشقيون ليتولى أمرهم فملكهم سنة ٨٥ ق م ، وكانت دمشق قصبة السلوقيين فتولاها ، واشترك أيضاً مع هركانوس فى تنازعه مع أخيه وحاصروا أورشليم[2] » .

أرأيت أن اليهود قد عادوا من الأسر إلى حماية الفرس ثم الخضوع لليونان ، ثم الاستعباد للرومان ، فظلوا ينتظرون مسيحاً أى ملكا يخلصهم ويعيد لهم ملك سليمان ، ويحقق لهم تنبؤات الأنبياء القدماء : حزقيال وإرميا وأشعياء . فانتظروا المسيح الذى ينشىء دولة يكونون فيها أصحاب صولة ، وحسبوه حاكما جباراً ، وملكا قهاراً ، يذل الشعوب غير إسرائيل . يثبت ملكه الجيل بعد الجيل ، يجمع لهم من الدنيا الذهب ويأتى بالعجب .. مع ماوصلوا إليه من خلق عليل ، ولكن أليسوا أبناء الخليل . وبينما يداعب خيالهم هذا الأمل الجميل ، وإذا بيوحنا المعمدان ينذرهم بهذا القيل : « يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب

(١) جورجى زيدان ص ١١٦ . (٢) العرب قبل الإسلام .

الآن فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ، ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً . إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم ، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار[١] » .

وكان يعمدهم فى نهر الأردن وجاء المسيح أيضاً فاعتمد منه ، ولكن هيرودوس اليهودى رئيس ربع الجليل من قبل قيصر الرومانى أمسك يوحنا وطرحه فى السجن من أجل هيروديا امرأة أخيه . لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك ، ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا فسرته ووعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها فهى إذا كانت تلقت من أمها قالت : أعطنى ها هنا على طبق رأس يوحنا . فأحضر رأسه على طبق ودفع إلى الصبية[٢] » .

وابتدأ عيسى المسيح يدعو إلى المحبة والزهد والتواضع والعفة ، وهم مع ما وصلوا إليه من فساد وشقاق ، وإباحية وإرهاب ونفاق وتقاليد وعبادات هى أشبه بالرسوم ، والمال هو المعبود الأول من قديم ، فجاء المسيح ينادى لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، وبدلا من أن يبشرهم بالدولة الأرضية التى كانوا يتخيلونها . جاء يدعوهم إلى المبادىء السامية التى يبغضونها ، وينقض المملكة السليمانية التى يتوهمونها ، وأن المملكة السماوية ستعطى لقوم يعملون ثمارها ، « ومر على السامرة ، وإذ كان قد تعب من السفر جلس فجاءت امرأة فقال لها : يسوع أعطنى لأشرب

---

(١) إنجيل لوقا ص ٣ . (٢) إنجيل متى ص ٤ .

فقالت : كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرة ، لأن اليهود لايعاملون السامريين ، أرى أنك نبى ، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . فقال لها يسوع صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون لأن الخلاص من اليهود[١] » .

إذاً فقد جاء المسيح يؤكد لهم ، تشتيتهم وفناءهم ، وأن الله إلى الأبد قد خذلهم ، وأن أمة أخرى ستحمل العهد بدلهم ، فبدد أوهامهم وخيالهم ، ألم تسمع قوله لهم : أما قرأتم فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه »[٢] .

حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديسيين : أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال أرونى معاملة الجزية فقدموا له دينارا . فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة . قالوا لقيصر فقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله[٣] » .

واليهود مع ما أحاط بهم من ذلة وخضوع واستعباد للشعوب وخنوع كان فخرهم باتصالهم بإبراهيم يملأ منهم الضلوع ، وكأن النسب

(١) إنجيل يوحنا ص ٤ .
(٢) إنجيل متى ص ٢١ .
(٣) إنجيل متى ص ٢٢ .

هو الدين بلا إيمان أو خشوع . فلما أكد لهم بأن الملك عنهم ممنوع «أجابوا وقالوا له أبونا إبراهيم ، قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا[1] » .

كانوا ينتظرون مسيحا ينشىء لهم دولة فى الأرض ليتجبروا فيها وينشروا الإباحية والإرهاب ويفخروا تيها ، وكم ناداهم المسيح وزادهم تنبيها بأن الله سيذل هذه الأمة اليهودية وينفيها ، بإرهابهم فى الأرض المقدسة وبما أفسدوا فيها : « ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتى بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص[2] » .

« لكن ويل لكم ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة . تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون ، لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا

(١) إنجيل يوحنا ص ٨ . (٢) متى ص ٢١ .

ابن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن هذا كله يأتى على هذا الجيل .

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين هو ذا بيتكم يترك خرابا[1] » .

ثم خرج يسوع ومضى فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه : الحق أقول لكم إنه لا يترك هنا حجر على حجر لا ينقض فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس (ليفهم القارىء) فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال[2] » .

« ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم[3] » .

وقد تحققت نبوءته عليه السلام . فكان شتات اليهود إلى يوم القيامة ، وتلاشوا فى الأمم ، ولم يبق لهم صلة لا بإبراهيم ولا أورشليم ولا إسرائيل ، لأن من اتبع المسيح من الإسرائيليين هو اسرائيل الجديد وقد استعربوا . أما اليهود بعد الخراب فقد تفرقوا أيدى سبا ، ولم يعرف لهم أحد نسبا حتى قال العالم اليهودى فريدرخ هرتس : لم يعد بالإمكان أن يتمسك المرء بذلك الرأى الذى يمثل الآريين من جهة

(١) متى ص ٢٣ .
(٢) متى ص ٢٤ .
(٣) لوقا ص ٢١ .

واليهود من جهة أخرى كجنسين مختلفين أشد الاختلاف فقد أثبت البحث — بصورة لا تقبل الجدل — ما بين الاثنين من القرابة الشديدة ، وقد استطاع اليهود فى أثناء تاريخهم الطويل أن يمتصوا مقدارا كبيرا من الدماء الأجنبية ، وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف الصور والأشكال ومشابهتهم للشعوب التى يعيشون بينها[1] » .

وهكذا باد إسرائيل القديم .

تشتيت اليهود

وبينما كان أتباع المسيح يزيدون ، وللحق والفضيلة يدعون ، وهم على ضيم الرومان صابرون ، كان اليهود يفسدون ويضطهدون وبالإباحية والفسق يجاهرون ، حتى أصبحوا كالعضو الذى لا يرجى له شفاء ولا يبرأ له داء ، إنما القطع له الدواء ، والتشتت له جزاء وربك لا يظلم أحداً فشتتهم بدداً بدداً ، وطهر منهم الأرض المقدسة وجعلهم فى العالم منجسة ، وسأترك مؤرخهم الثقه يحدثك عن جمعياتهم الإرهابية ، وأفعالهم الإباحية ، فهذه جماعة الموت الأعمى ، فى المكان المقدس الأسمى « وكان منهم قوم يحملون سكاكين ذات حدين يخفونها فى ثيابهم ، ومن أراد أن يقتل رجلا فيمضى فيلاصقه ثم يضربه بالسكين ، وكان هؤلاء الأشرار جماعة كثيرة لهم خفة وجسارة ، يقتلون ولا يعرفون . فسمى هذا القتل الموت الأعمى[2] » .

أرأيت أن اليهود مردوا على الإرهاب ، وكانوا هم السبب فى تشتيتهم

(١) كتاب الأجناس والحضارة .

(٢) يوسيفوس اليهودى ص ٢١٨ .

والخراب ، فهذه جماعة الموت الأعمى تقتل فى القدس بلا حساب ، وهذه جماعة العازر أحد الأوشاب ، وتلك جماعة يوحانان صاحب الأسلاب ، وأولئك جماعة شمعون قاتل الأصحاب ، ويحدثك يوسيفوس عن جماعة العازر . فاسمع منه الخطاب «كان حنانى الكاهن كاهناً كبيراً ، وله ابن يقال له العازر ، كان جباراً فاتكا ذاعراً ، انضاف إليه جماعة من أهل الشر وكانوا يمضون إلى بلد الشام فيقتلون وينهبون حتى أنهم أنهكوا أهل بلد سوريا وأضروا بهم ، ثم مضى مع أصحابه وقتلوا جميع من كان فى أورشليم من الروم ، فسار وسباسيانوس من رومية ومعه ابنه تيطس فى عسكر كبير فيه أكثر فرسان الروم ، وفتح حصوناً لليهود[1] » .

ثم يحدثك يوسيفوس المعاصر عن جماعة يوحانان الإرهابية «كان فى جبل الجليل ، يوحانان شريراً ، انضاف إليه جماعة فكان يقتل الناس ، فلما فتح الروم مدينة كوشالة ، هرب مع أصحابه إلى أورشليم ، وانضافوا إلى من كان فيها من أهل الردى ، وصاروا عصبة قوية متسومة للهيج ، متهيأة للفتن والرهج ، وعزل الكاهن الأكبر حنانى ، فاجتمع رؤساء المدينة مع حنانى الكاهن . فحاربوا يوحانان فانهزم إلى القدس وأرسل إلى أهل أدوم لمعونته ، فلما عرف الكاهن أمر بغلق الأبواب ، وإذا برعد وبرق وظن الكاهن أن ذلك معونة من الله لهم على أعدائهم فلذلك تفرقوا ولم يعلموا أنه كان سخطاً منه . وذلك أن يوحانان وأصحابه لما علموا مضوا إلى أبواب المدينة وأدخلوا عسكر أدوم[2] وتفرقوا فى المدينة

---

(١) ص ٢٤٢ .

(٢) يقول يوسيفوس إن أهل أدوم اعتنقوا اليهودية وهذا يدل على اختلاطهم بالشعوب .

وكبسوا المنازل ، وكان وسباسيانوس مقيما بعسكره فى قيصرية فلما علم سره ، ورأى أن يقيم فى موضعه إلى أن يقوى الشربين أهل أورشليم ويهلك بعضهم بعضاً . فاتصلت الحروب بين أهل القدس ، وبين يوحانان وأصحابه وقويت الفتنة[1] » .

أما جماعة شمعون الإرهابية ، فيحدثك عنها يوسيفوس. « كان بمدينة أورشليم رجل من اليهود يقال له شمعون ، وكان ساقطاً شريراً سافكا . فمضى إلى بعض الضياع ، وانضاف إليه جماعة من الأشرار وقطاع الطرق ثم جاء بعسكره إلى أورشليم .

وفى ذلك الحين ورد الخبر إلى وسباسيانوس أن نيرون قيصر قد مات فقسم عسكره نصفين أحدهما أخذه معه . وترك النصف الآخر مع ابنه تيطس وأمره بمحاربة اليهود .

وعظمت الحروب والفتن بين اليهود ، ولم تبطل الحروب بين يوحانان وبين شمعون ، لا فى صيف ولا فى شتاء ، ولا فى ليل ولا فى نهار ، وقد كان العازر غائباً فعاد وصار ثالثاً لهما ، وكثر القتل فى الشوارع وفى القدس نفسه حتى تغطى الرخام بالدم ، وكانت جيف القتلى تسقط بعضها على بعض ، ولا تدفن حتى كثرت فيهم الأمراض ، وكان الناس لا يمشون إلا على قتيل . وكان الناس فيما بينهم يهلكون والمنازل تحرق فاجتمع عليهم أربع آفات القتل والحريق والحرب والجوع[2] » . أرأيت أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأن الإرهاب طبيعة فيهم ، فلا الأنساب

(١) ص ٢٤٨ .   (٢) ص ٢٣٥ .

تحميهم أو تقيهم ، بل العدالة تنفيهم من صياصيهم حتى كانوا مثلا سيئاً
فى حاضرهم وماضيهم ، وتحقق وعيد الله فيهم ، وحاصرهم تيطس بناديهم
وأخذ يوسيفوس الكاهن ينـاديهم : على أى شىء تعتمدون ، فإن قلتم
على الله كما جرت عادته مع آبائنا فيجب أن تعلموا أن الله هو الذى سلط
هذه الأمة عليكم لسـوء أعمالكم ، لأنكم أهلكتم النفوس ونجستم هيكل
الله القدوس ، والله لا ينصر من عصاه .

وقد علمتم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يمتنعوا عن طاعة الأمم
الذين أقاموا بينهم ، والمتقدمون منا أيضاً قد أطاعوا المصريين أوقاتا
كثيرة وأطاعوا ملوك الموصل وملوك العجم ثم ملوك اليونانيين ثم ملوك
الروم إلى هـذه الغـاية ، وقد علمتم أن الله عز وجل قد جعل لكل أمة
دولة وزماناً ، فإذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها حينئذ تذل لغيرها ،
فأنتم أيضاً قد كان الله جعل لكم دولة مدة من الزمان ، ثم نقل المملكة
والرياسة عنكم إلى من أراد ، ولقد كانت الجلوة لنـا أصلح من السطوة
والسبية أفضل من الدولة ، وذلك الشتات كان لنا خيراً من هذا الثبات
لأن الجلوة كسرت قلوبنا وذلت عزنا ، فلما أحسن الله إلينا وردنا إلى
أرضنا عصيناه ، وخالفنا وصاياه ، وإذا كان الله قد كره سكنى الأخيار
مع الأشرار ، فبأحرى ألا يشاء سبحانه أن يسكن جلال نوره بين قوم قد
أغضبوه ، وإذا كان كذلك لا تشكوا فى أن نور الله قد رحل من بينكم فأى
خير ترجون ، وأنا أعلم أن كلامى لا يؤثر فيكم ليتم ما حكم الله به عليكم من
هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الجليل إذ سفكتم به دم الزكى البار [١] .

---

(١) ص ٢٧٣ .

ثم اتفق رأى تيطس وأصحابه على ترك محاربة اليهود ، وأن يحاصروهم إلى أن يقهرهم الجوع ، واسمع يوسيفوس يحدثك « لما طال الحصار على المدينة المقدسة فنى كل شىء كان فيها ، وقوى الجوع حتى أكلوا الجيف حتى مات كثير من الناس » .

فلما طال الحصار جاع الخوارج وأذاقهم الله ما أذاقوه للناس ، وبلغ أمرهم أن أكلوا الحب الذى يوجد فى زبل الحيوان ، وكان فى أورشليم امرأة ، وكان لها نعمة واسعة ، ولم يكن لها غير ولد فلما قويت المجاعة ونهبت الخوارج جميع ماكان فى منزل المرأة كما فعلوا بغيرها جاعت وجاع ولدها ، فلما زاد ما بها وما يصل إلى قلبها من بكاء ابنها وتضوره عدمت الصبر وفقدت التمييز . ثم قبضت على ناصية ابنها بيدها والسكين بالأخرى وهى كمسلوبة العقل . ثم حولت وجهها عنه ثم ضربته فمات . حينئذ أخذت بعض لحمه شوته على النار وأكلت منه حاجتها ، فلما ارتفع قتار ذلك اللحم وشمته الخوارج هجموا على المرأة ، ومضت ونصبت المائدة وأخرجت ما بقى من جثة ابنها وقالت هذا ولدى ، أكلت من لحمه حاجتى وهذه بقية أبقيتها لكم فكلوا واشبعوا . فلما رأى الخوارج ذلك خرجوا مذعورين ، واشتهر خبر المرأة فى المدينة وتحقق صحة الوعيد الذى سبق من الله فيهم وأيقنوا بالهلاك وانكسر الخوارج وكادت ترق قلوبهم ، وأطلقوا للناس الخروج من المدينة ، ثم إن تيطس أمر بالإحسان إلى الذين خرجوا إليه فأطعمهم الطعام . فكان كثيرون لا يقدرون يفتحون أفواههم ، وجماعة لما أكلوا ماتوا ، وكان بعض هؤلاء اليهود لما أرادا الخروج ابتلعوا ذهباً فلما صاروا فى عسكر الروم جلس

رجل يفتش ما برز منه فرآه بعض السريان . فأخبر رفيقه فقتلا ذلك اليهودى ، وفشا الخبر فاتفقت العرب والسريان على قتل اليهود لطمعهم فى الذهب . فلما علم تيطس بذلك أنكره وغضب منه .

وكان العرب والسريان إذا ظفروا بيهودى قتلوه فى خلوة طمعاً فى أن يكون فى جوفه شىء من المال والجواهر[١] .

ثم دخل تيطس بجيشه أورشليم ويقول يوسيفوس « ولما رأى اليهود أن قد تهدم سور المدينة وتسلموا أسوار القدس وملكوه دبروا على الروم تدبيراً ، وذلك أنه كان بقرب القدس قصر عظيم فطلوا جميع ما فيه بالنفط ، ثم إن اليهود مضوا فى الليل إلى الروم الذين فى القدس فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا إلى ذلك القصر فتبعهم الروم . فلم يجدوا أحداً لأنهم خرجوا من الباب الخفى ، فاشتعلت النار فانحدروا ليهربوا فوجدوا اليهود قد وقفوا لهم بالسيوف فهلكوا[٢] .

وخرج منهم قوم فى الليل إلى الروم فقتلوهم فبلغ الخبر تيطس فقتل أولئك وهرب من بقى إلى جبل صهيون ، فلما كان من الغد اجتمع وأحرقوا باب قدس الأقداس ، وذلك أنهم دخلوا إلى القدس بعظم حنق فخرج الأمر عن يد تيطس ، ثم اشتعلت النار وقويت على جميعه ، ولما علم اليهود مضوا إلى جميع ما فى المدينة من القصور والمنازل فأحرقوا كل ذلك[٣] .

أرأيت أن الأمة التى تحمل رسالة سماوية ولا تسمو بها بل تتردى

(١) ص ٢٨٩ . (٢) ص ٣٠٤ . (٣) ص ٣٠٧ .

فى أدران المادة وحوادث الإرهاب وبراثن الرذيلة . أرأيت أن الله لا يذرها فى إفسادها . بل يأخذها بإثمها ويعاقبها بجرمها ويخرجها من أرضها ، وينقل مجدها إلى غيرها . أرأيت الشعب الذى سمى نفسه مختار الرب . ثم سود التاريخ وضجت منه الشعوب ويئست منه الأنبياء . ألم ينفذ الله فيه عدالته ويحقق كلمته ، ألم تر كيف أنهم كانوا السبب فى خراب أورشليم ، بجمعيات هذا الإرهاب العقيم مما جلب عليهم التشتيت إلى يوم الحساب « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » .

افتراهم عادوا عن غيهم ، كلا بل ظلوا فى طغيانهم ينتظرون دولة تقوم بهم : ويسمعون للكذاب من كهانهم ، واسمع إلى يوسيفوس مؤرخهم « وكان فى غد هذا اليوم الذى أحرق فيه القدس ظهر رجل من اليهود يدعى النبوة يقول : إن هذا البيت يبنى كما كان من غير أن يمارس الآدميون شيئاً من بنيانه ، لكن يبنى بقدرة الله فدوموا على ما أنتم عليه من مقارعة الروم والامتناع عن طاعتهم ، ولما سمع كلامه من بقى من اليهود اجتمعوا فقاتلوا الروم ، فظفر الروم بهم فقتلوهم ، وقتلوا جمعاً من اليهود كانوا قبل ذلك قد رحموهم[١] » .

ثم رحل تيطس إلى رومية ومعه الغنائم والسبى سنة ٧٠ م ولكن العناد الذى ألفوه والإرهاب الذى حذقوه والفساد الذى شايعوه ، جعلهم يثورون مرة أخرى بالقدس . فلم يكن لهم من علاج غير التشتيت فى

---

(١) ص ٣٠٧ .

مما جعل الأمبراطور الرومانى أوريان سنة ١٣٥ م يأمر بهدم المدينة من أساسها ، وذبح نصف مليون من مفسديها ، وتشريد الباقين فى أرجاء المملكة وأفاقيها « ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ »

بينما كانت الدعوة المسيحية أو إسرائيل الجديد يدعو إلى الله والبر والعفة والبر مما يصح أن يتخذ دليلا على صدق العزم .

وذهب حواريو عيسى ينشرون دينهم صابرين على الاضطهاد ، ولا تسلنى عن النجاح الذى صادفوه « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ » ١٤٢٢ سورة الصف .

فلسطين العربية

استراحت فلسطين ، وباتت فى دعة من الأمن ، وباد منها إسرائيل القديم المشاغب ، وظهر بها إسرائيل الجديد الراهب ، واندمج السكان الأصليون سريانهم بعربيهم ، وسكن عرب تنوخ بقنسرين ، وظهرت دولة سليح العربية فى مؤاب بالبلقاء ، وفى سلمية وحوارين والزيتون[1] وتغلب اللسان العربى على الأرامى وظهرت اللهجات العربية والغالب أن فى العرب خاصية التمثيل إذا جاوروا شعباً قربوه من مناحيهم وأدخلوا عليه لغتهم ، وكانوا منذ القدم المادة العظمى التى ما زالت

(١) الهمذانى ص ١١٨ .

تفيض على الشام وأهل الوبر والمدر وتراهم من أصبر الأمم على الحروب والأسفار والاكتفاء بميسور العيش ، لكنهم لا يصبرون على الضيم والأذى وأصبح أذينة العربى ملك دولة تدمر العربية سيدا فى فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ، ويقول جورجى زيدان « وامتدت سلطته على سوريا وما يليها ولقب ملك الملوك ، واستأثر بسوريا وسائر آسيا الرومانية وفى سنة ٢٦٤ تسمى حاكما عاما عليها ، وهو فى الظاهر تحت سيطرة الروم ، ورجاله يعدونه صاحب السيادة المطلقة على آسيا الرومانية من أرمنيا إلى جزيرة العرب ، وكان كثير الاشتغال بمحاربة الفرس وردهم عن بلاده ، فإذا خرج لحرب أناب عنه فى حكومة تدمر امرأته زنوبيا المشهورة فى تاريخ هذه المدينة وكل سجاياها تدل على أصلها العربى[1] » .

وأنت ترى أن العرب أصبحوا العنصر السائد « ولم تطل حياة عنصر كما طالت حياة العرب فى سوريا وفلسطين وهم الذين اندمجت فيهم عامة الشعوب القديمة واستعربت . فلم تعد تعرف غير العربية لسانا ومنزعا ، ولذلك كان المعقول أن يدل الشامى بعربيته أكثر من إدلاله بفينيقيته وأراميته وسريانيته[2] » .

ويقول إسرائيل ولفنسون : أخذت اللهجات العبرية والكنعانية الأصلية تضمحل مع التغييرات السياسية إلى أن أصبحت أغلب بطون فلسطين وسوريا والعراق وطورسينا تتكلم باللهجات الآرامية .

---

(١) جورجى زيدان ص ٨٦ . (٢) خطط الشام ص ٥٩ .

ثم أخذت هذه اللهجات فى القرون الأولى ب . م تتدهور تدريجا فى أطراف الجزيرة العربية وأخذت تنكمش وتتضاءل أمام اللغة العربية التى كانت فى ذلك الحين تمتد وتنتشر بسرعة حتى اضطرت بعض القبائل الآرامية والعبرية إلى أن تختلط بالعنصر العربى الأصلى وتندمج فيه شيئاً فشيئا »[1] .

وبينما كانت فلسطين وسوريا تصطبغ بالصبغة العربية . كانت هذه الأراضى المقدسة تعتنق الديانة المسيحية ، ومنها ينتشر هذا الدين فى سائر أرجاء الدولة الرومانية ، وقد دعا حواريو المسيح إلى المبادىء الإنسانية . فآمنت بها أولا طائفة إسرائيلية ، وظلت أخرى جامدة شعوبية إرهابية . فكان جزاؤها التشتيت فى الكرة الأرضية ، وأورث الله نصارى العرب إسرائيل الجديد هذه الإمامة ، وتمت كلمة الله « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » . ولما تولى قسطنطين سنة ٣١٣ ، اعتنق هذه الديانة ، واعترف بها دينا رسميا ورفع عنهم الاضطهاد والمهانة وارتحلت إلى أورشليم والدته هيلانه ، ولوثت الهيكل بالزبل انتقاما من اليهود وإهانة ، وبنت كنيسة القمامة المسماة بالقيامة .

وكانت المسيحية تنتشر مع العروبة فى فلسطين مهد النصرانية ، وتنصرت فى بادية الشام دولة الغساسنة العربية ، « وكانت كلمة الغسانيين العرب نافذة فى سوريا وفلسطين والأراضى اللبنانية[2] » .

---

(١) تاريخ اليهود . (٢) جورجى زيدان ص ١٩٤ .

وأخذت النصرانية تتسرب إلى جنوب الجزيرة العربية ، وأرسل القياصرة الكهنة والرهبان فدانت نجران بالديانة النصرانية ، وكان ظاهر القياصرة التبشير وباطنهم المبادئ الاستعمارية . فخاف ملوك اليمن من نشر نفوذ الدولة الرومانية . فاعتنق أحدهم ذونواس الديانة اليهودية ، ليقاوم دينا كتابيا بديانة سماوية ، وكان باليمن يهود وتحدثنا السيرة الهشامية « وبنجران بقايا من أهل دين عيسى وهم أهل فضل واستقامة ، فسار إليهم ذنواس فخدد لهم الأخدود فحرق من حرق وقتل من قتل[١] » .

ويقول إسرائيل ولفنسون « إن اضطهاد ذى نواس للنصارى كان عنيفا جدا حتى أنه ترك آثارا هاجت النفوس العربية فى البادية والحاضرة وقد خلد القرآن الكريم ذكرى قتلى نجران بآيات من ذهب « قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ » .

وبإيعاز من الروم قامت مملكة الحبش النصرانية بحملة كبيرة شنتها على المملكة اليمنية ، فملكتها وولت عليهم أبرهة الذى بنى كنيسة صنعاء وحاول هدم الكعبة بالأراضى الحجازية فأرسل الله عليهم طيرا جراثيم كالقنابل الذرية[٢] .

ومن المضحك المبكى ما يحدثك به إسرائيل ولفنسون « وقد كان لانكسار الدولة الحميرية أمام الحبشة رنة أسى شديدة فى قلوب اليهود فظهرت مع الزمن أقاصيص كثيرة وأساطير خرافية عن أبطال حمير فمن ذلك ما قيل إن أصل هؤلاء من بقايا أبناء بنى إسرائيل البائدة وإن هذه الجيوش لم تغلب على أمرها بل رجعت على أعقابها إلى داخل

---

(١) ابن هشام ط ص ٧٤ .

(٢) سورة الفيل .

البلاد الرملية ، وأنها كونت فى تلك الأرجاء دولة عظيمة يظهر بطشها فى اليوم الذى يتاح لها فيه النضال ويؤذن لها بخوض المعارك وقد كانت الأقاصيص سبباً فى أن شرع جماعة من اليهود فى القرون الوسطى يرسلون إلى بلاد العرب ليبحثوا عن تلك الجيوش التى توارت عن العيون[1] » ! !

فلسطين للعرب

إن علاقة العرب بفلسطين ترجع إلى ما قبل التاريخ القديم ، وما هذه الأرض المقدسة من الجزيرة العربية إلا بقعة أو إقليم ، وكان العرب منذ البدء يغدون إليها بين مسافر ومقيم ، وقد رأيت أن العنصر العربى أصبح هو السائد فى البلاد ، ولغة العرب لسان القوم فى كل ناد ، يدينون بالمسيحية ويمتون بأصولهم إلى القبائل العربية ، وكان بحوران وشرق الأردن وفلسطين الدولة العربية الغسانية ، فلا غرو أن تذهب قريش بتجارتها ، إلى فلسطين جارتها ، وتتعامل بنقدها وتتخاطب بلغتها ، وإلا فكيف تروج السلعة . وتتم البيعة ؟

ويذهب النبي الأمين ، مرتين بالتجارة إلى فلسطين ، والنبى إذ يحل بهذه الأرض العربية ، فإنه يؤكد الرابطة العنصرية ، بين بلدين مقدسين ، ويربطهما كالحاجب بالعين ، ويجعل أفئدة المسلمين تهفو إليهما طول الأيام ، وتتذكر خطوات النبي بين مكة والشام .

وما بال النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو فى مكة مضطهد يجاهد

---

(١) ص ٤٩ تاريخ اليهود .

عباد الأصنام ، يهتم بشئون فلسطين والشام ، حينما أتى جيش الفرس ، وملكوا الشام والقدس ، وذبحوا السكان سنة ٦١٤ ميلادية ، وقهروا الرومان والدولة الغسانية ، وتقدم كسرى إلى مصر وفتحها ، وأصبحت فلسطين فى حال يرثى لها ، وانتصر على أهل الإنجيل عباد النيران ، فترى الوحى يتنبأ فى الفرقان ، إن الله فى بضع سنين سينصر الرومان[1] ويومها ترفع راية القرآن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله فى كل البلدان وسرعان ما تحققت النبوءة القرآنية وانتصرت الجيوش الرومانية ، ولكن ذلك كان تهيئة لاستقلال كل الشعوب العربية ، بفلسطين والشام والبلاد العراقية ، على يد الدولة الجديدة الإسلامية ، التى ظهرت بالأراضى الحجازية لنشر الراية الربانية .

ويأبى الله إلا أن يربط القطرين بضياء مقدس ، فيسرى بنبيه ليلا من البلد الأمين إلى بيت المقدس ، وما هى إلا ساعة يتجمع فيها النور الكريم ويؤسس ، ويتصل النبى بإخوانه الأنبياء ويجلس وتشرق الأرض المقدسة من جديد بنور أطلس ، ويعرج على حبرون بيت الخليل أبيه ، ويمر على بيت لحم مهد المسيح أخيه ، وينزل بهيكل سليمان ويصلى فيه ، وربك يجمع العالم فى واحد يصطفيه ، وتتأثر نفس النبى حينما يرى الهيكل فى خراب وتهديد ، فيقص الله عليه السبب من فساد اليهود ، وإرهابهم فى الأرض المقدسة حتى كتب عليهم التشريد . إلى يوم القيامة وما ربك بظلام للعبيد « وقضينا إلى بنى إسرائيلَ الكتابِ لتفسدنَّ فى الأرض مرّتين[2] » .

---

(١) أول سورة الروم .

(٢) سورة الإسراء .

والنبي إذ يسرى به ربه إلى هذه البقعة المباركة ، فإن قلوب المسلمين أصبحت بها ممغطسة ، يجذبهم إليها نور النبوة المقدسة وتربطهم بها قداسة المسرى وإخوة العروبة فهى منهم كالقلب الذى ينبض ، يفدونها بأرواحهم من كل خطر يعرض .

ويهاجر النبي إلى المدينة ويتخذها موطنه ، ويولى وجهه فيها شطر المسجد الأقصى سنة وبضع سنة ، ليبرهن أنه الوارث هيكل سليمان ليجدده ويزينه وأنه وصَّل الوحى قديمه بحديثه وأعلنه ، ثم يحوله الله إلى الكعبة مبنى الخليل إبرهيم ، ليربط التاريخ الحديث بالتاريخ القديم ، وليجمع بنت القدس بالكعبة الأم المرءوم ، وليوحد بين مكة وبين أورشليم ، ولوا وجوههم أولا إلى بيت المقدس ، إشارة إلى أنهم اقتبسوا من الأديان السابقة ، أصولها السامية ، وأنهم يحترمونها ويعتزون بماضيها ثم يولون وجوهم شطر الكعبة القديمة فى بنائها ، الحديثة فى عهدها ليقدسوها كما قدسوا الصخرة ، وليلنشئوا وسطاً على الفطرة كملة إبراهيم بمبادئ حرة ، ولما تنصرت الرومان خربوه ودنسوه بمواد قذرة ، أما الإسلام فولى وجهه شطاره مدة من الزمان ليعرف له شرفه وقدره .

وكان بالمدينة يهود عاهدهم النبي فنقضوا عهده ، لأن النبي آمن بالمسيح عيسى وبين المرسلين عده ، وهم يقذفونه بفحش القول هو وأمه البتول وينتظرون مسيحاً يجيد فن التدجيل ، وسرعان ما عاد إليهم طبعهم ، وحاولوا قتل النبي بإرهابهم ، وكم طافوا بالوثنيين على الإسلام يؤلبونهم ، ويفضلون عابدى الأصنام على موحدى ربهم ، مما جعل اسرائيل ولفنسون يندد بهم «كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا

فى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناهضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام ، وقد أشار القرآن إلى عمل النفر من اليهود وتحزبهم مع قريش وغطفان على الإسلام بقوله : « ألمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بالجبتِ والطَّاغُوت . . . » اه سورة النساء .

ولما بهرهم ضياء الوحى الجديد ، نبذوا التوراة والتلمود وقالوا هذا أعلم بدينا منا معشر اليهود ، ولجأوا إلى السحر والجان لعلهم يعيدون ملك سليمان « واتَّبعُوا ما تَتْلوا الشَّيَاطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمَانَ . . . »[1] .

قال البحاثة ديشان : « إن هذه الدعوة السحرية ترجع إلى تعاليم الكابالا السرية وهى التعاليم العبرية فى أمور الخفاء ومدارك الغيب وإن هذه الدعوة التى اجتاحت أوربا مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر من الجهود السريه التى بذلها اليهود منذ ظهور النصرانية والإسلام فى سبيل هدمهما انتقاما لدينهم[2] » .

ولقد أدرك النبي أن وجودهم فى الجزيرة العربية ، خطراً يهدد كيان الوحدة القومية ، لأنهم منبع الإرهاب والإباحية ، وموطن شر فى الأراضى الحجازية ، كما كانوا جرثومة فساد بالأراضى الفلسطينية ، فأجلاهم عن هذه الأراضى المقدسة الإسلامية ، ولما جاء عمر طهر منهم الجزيرة بأمر النبي ووصيته .

---

(١) سورة البقرة .　(٢) الجمعيات السرية ص ٧٢ .

ولما فتح عمرو بن العاص أجنادين ، ترك أهل إيليا « بيت المقدس » محصورين ، وشرع يتمم فتح فلسطين ، وأرسل إلى عمر لأن أهل القدس طلبوا الصلح على يد الخليفة ، وسار عمر حتى دخل الجابية ، وبينما هو بها إذ جاء أهل إيليا طالبين الصلح وخائفين على كنيستهم العظمى وقبلتهم المقدسة ، فأمنهم الخليفة وكتب لهم بذلك عهداً سنة ١٦ هـ وهذا نصه :

« هذا ما أعطى أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا يهدم ولا ينقض منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود[1] » .

ثم قصد أمير المؤمنين بيت المقدس حتى انتهى إلى المسجد الأقصى فصلى فيه ثم قام إلى كناسة (أى زبالة) كان للروم جعلوها مكان هيكل اليهود بعد أن هدموه وألقوا عليه تلك الزبالة وقال أيها الناس : اصنعوا كما أصنع — وجثا فى أصلها وحثا التراب فى ذيل ثوبه ، فسمع التكبير من خلفه وكان يكره سوء النظام فى كل شيء ، فقال ماهذا : فقالوا كبر كعب الأحبار ، وكبر الناس بتكبيره ، وكان كعب هذا حبر من أحبار اليهود بالمدينة صحب النبي وصاحبيه ، ولم يشأ أن يسلم حتى يتحقق جميع العلامات التى قرأها فى كتب بنى اسرائيل ، ثم أسلم فى خلافة عثمان ،

---

(١) تاريخ الطبرى ص ١٠٩ ج ٤ .

فقال عمر على به فسأله عن سبب تكبيره ، فقال يا أمير : إنه قد تنب بما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة .

وعادت فلسطين إلى أمها الجزيرة العربية ، واستقلت عن سيطرة الدولة الرومانية ، ومن الخطأ أن يقال إن فلسطين وسوريا والعراق ومصر قد فتحها العرب ، والحقيقة أنها ضمت لأنهم بنو أب .

وعاشت فلسطين بين أخواتها حرة طليقة ، المسجد بجانب الكنيسة والمسيحى يفخر بعربيته ، والمسلم يزهو بأخوته ، وتوثقت العلاقة بالحكم العربى بين الأقطار الشقيقة ، ورفع علم الاستقلال إلى الأبد بالحقيقة ، والعربى لايدين إلا بالحرية الطليقة ، ويضحى من أجلها نفسه ونفيسه سليقة وباطن الجزيرة حول الكعبة عاشوا طول تاريخهم من الاستعمار فى أمان .

ولما جاء الإسلام رفع نير الأجنبى واستقلت البلدان ، وزحفت العربية بالخلق العربى والنور النبوى واللسان ، واصطبغت الأقاليم بها كما قال رنان : « إن أغرب ما وقع فى تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ظهرت لأول أمرها تامة ، وما عهدنا قط فتوح أعظم من الفتوح العربية ولا أشد سرعة منها[1] » .

واللغة العربية دخلت واسعة النطاق إلى الشام من الجنوب منذ ثلاثين قرنا وزادت بالإسلام رسوخا وانتشارا[2] .

وقال سيادة المطران غريغوريوس الحجار « إن الفلسطينيين العرب

(١) خطط الشام ص ٧٢ .
(٢) ص ٢٢ خطط الشام .

هم منحدرون من سكان فلسطين الأصليين الذين توطنوا هذه البلاد من آلاف السنين قبل اليهود ، ولم يقو اليهود على طردهم وبقيت البلاد باسمهم إلى الآن ، فلم يملك اليهود إلا جزءاً منها مدة بعض قرون ، ثم ظهر الدين المسيحى فى فلسطين فتنصر كلهم ومعهم قسم من اليهود كما تذكر الكتب السماوية ، وأصبحت فلسطين مسيحية ، ثم أتى الفتح الإسلامى فاحترم المقدسات ، لأنه يجل المسيح نفسه ، ولكن القسم الأكبر من المسيحيين اعتنق الدين الإسلامى ، وانتشرت اللغة العربية حتى عمت البلاد .

ومن جمال مزايا الفتح الإسلامى العربى أن امتزج الفاتحون بشعوب البلاد التى افتتحوها وحولوها إليهم ، وبقى قسم ضئيل من المسيحيين محافظاً على نصرانيته ، لكن ذلك لم يضر بوحدة الأصل وصلة الدم بين الفريقين[1] » .

ولما دخل المسلمون فلسطين لم يكن فيها يهود بل كانت خاوية منهم كما أجلوا عن الجزيرة برمتها .

قال كلرمون : لما دخل المسلمون فلسطين ، لم يجدوا يهوداً لأن حروب تيطس وتراجا واضطهاد ملوك النصرانية لم يترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية ، بل ذروا رمادها فى الرياح الأربعة ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية[2] » .

فالعرب هم أصحاب فلسطين الشرعيون ، وأهلها الحقيقيون منذ عدة

---

(١) ص ٥٤ الشهادات السياسية فى فلسطين .
(٢) خطط الشام أول ص ٩٥ .

قرون ، ومع أنهم كان لهم علاقة فيها قبل الإسلام فإن علاقتهم بها أصبحت حاسمة شاملة بالفتح العربى سنة ٦٣٨م حيث اصطبغت بالصبغة العربية الشاملة ، ومازالت كذلك ولن تزال إن شاء الله إلى يوم القيامة .

وتوثقت هذه العلاقة بالحكم العربى الذى ساد هذه البلاد سواء فى دور الخلفاء الراشدين ، أو دور الخلفاء الأمويين ، أو فى دور الخلفاء العباسيين ، أو فى دور الخلفاء الفاطميين ، أو فى دور الأيوبيين ، أو فى دور المماليك (٦٣٥ — ١٥١٧) م ولم تكن الفترة القصيرة التى حدثت فيها الحروب الصليبية لتؤثر على صبغة البلاد العربية .

ومع أن الدولة العثمانية قد فتحت فلسطين ضمن ما فتحته من الولايات العربية ، فإن صبغة العروبة ظلت ثابتة ، لأن العرب كانوا يؤلفون جزءاً مهماً من كيان الدولة العثمانية .

ومن الخطأ أن يقال : إن العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك . فقد كانوا فى الحقيقة يتمتعون بجميع أنواع الحقوق التى كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت أو غير سياسية ، وكانوا يشاطرونهم فى جميع مناصب الدولة المدنية والعسكرية ، فكان منهم رؤساء وزارات ووزراء وقواد فيالق وسفراء وولاة ، كما أنهم كانوا شركاء فى البرلمان العثمانى ، وفوق ذلك فقد كانت البلاد العربية تدار بحكم يستند على مجالس إدارية منتخبة فى الأقضية . . .

غير أن العرب كانوا بالرغم من ذلك كله يطمحون إلى استكمال سيادتهم القومية طموحاً إلى استعادة المركز الممتاز الذى كان للشعب

العربى فى القرون الغابرة ، والذى قدم فيه للحضارة الإنسانية خدمات عظيمة بادية الأثر فى كل نواحى الحياة المدنية العالمية ، فلقد اعتنق رجالات العرب وشبانهم الذين كان منهم عدد كبير من فلسطين الفكرة الاستقلالية ونشروها بقوة فى جميع أوساط البلاد العربية وكان آخر هذه الأعمال قيام شريف مكة — الشريف حسين — بثورته الكبرى باسم العرب متحالفاً مع بريطانيا سنة ١٩١٥ للوصول إلى تحقيق الغاية المنشودة من الاستقلال التام لبلاد العرب والعراق وفلسطين والشام[١] .

ولكن انجلترا كانت كالتنين ، ونفخت السم فى فلسطين وزنت مع الصهيونيين ، وولد بلفور الجنين ، ليكون شغباً طول السنين ، فى البلد المقدس الأمين ، لتبرر الاستعمار اللعين ، واليهود يبذلون لهم الذهب الثمين ، لأنهم للمسيح ينتظرون ، ويتظاهرون بأنهم مضطهدون ، فسحقاً للكاذبين والغاصبين ، والنصر للعروبة مسلمين ومسيحيين ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وسيطهر هذه الأرض المقدسة من الصهيونية والمستعمرين ، ويومئذ يفرح المؤمنون .

(١) من مذكرة اللجنة العربية العليا كانون الثانى سنة ١٩٣٦ .

أسطورة الصهيونية

أو المسيح المنتظر

اليهود مدينون ببقائهم إلى اليوم للاسلام ، ولولاه لكانت أمة بائدة بينما كانت الأمم تعاملهم معاملة التنين ، كان المسلمون يعطونهم الحرية الدينية والاجتماعية والفكرية قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية : ولكن لما فتح المسلمون بلاد الرومان حسن حال اليهود فاشتغلوا بالتجارة ناعمى البال فى بغداد والقاهرة وقرطبة وباختلاطهم بالعرب درسوا العلوم والصنائع بنجاح[1] .

وقال الكونت هنرى دى كاسترى « إن اليهود إنما وجدوا مجيرا وملجأ فى الإسلام ، فإن كانت لهم باقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين جانبهم[2] » .

ويحدثنا إسرائيل ولفنسون « وينبغى ألا يغيب عن البال أن الخسارة القليلة التى لحقت يهود بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس إلى الفائدة التى اكتسبها العنصر اليهودى من ظهور الإسلام فقد أنقذ الفاتحون المسلمون آلافا من اليهود كانوا منتشرين فى أقاليم الدولة الرومانية ، وكانوا يقاسون ألوانا شتى من العذاب زد على هذا أن اتصال اليهود بالمسلمين فى الأقاليم الإسلامية كان سببا فى نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها فى تاريخ الآداب العربية والعبرية زمناً طويلا[3] » .

(١) باب اسرائيل . (٢) الإسلام خواطر وسوانح ص٤٢ . (٣) ص٤٢ .

واليهود تغلب عليهم المادية ، وتسيرهم النقدية ، والإرهابية والإباحية ولا يدينون إلا بالأمور الحِسِّيَّة ، وكان أحبارهم يرغبونهم إن استقاموا بمملكة دنيوية ، ويرهبونهم إن أفسدوا بذلة وعبودية لأنهم كانوا على حال فطرية — أما المسيحية فرغبت إتيانها بمملكة سماوية والاسلام وعد أتباعه بخلافة أرضية ثم جنة قدسية ، ومع أن اليهود لم يقم لهم ملك فى كل الأزمان إلا دولة دواد وابنه سليمان ، وقبلهما وبعدهما عاشوا فى ذلة وهوان وأسروا إلى بابل على يد بختنصر ، ثم عادوا فى أحضان كل من يستعمر . ظلوا ينتظرون مسيحا ملكا يخلصهم ، ويعيد لهم الدولة ويملكهم وكانت الأنبياء قد تنبأت بظهور المسيح وخاتم النبيين فأما المسيح فقد كذبوه ، ونسبوه للفحش واضطهدوه حتى كتب الله عليهم التشريد الأبدى بما ارتكبوه ، ولما ظهر النبي الجليل ، لم يؤمنوا به لأنه من غير اسرائيل ، وظل شياطين أحبارهم توحى إليهم بكل تأكيد ، أن المسيح لم يظهر بعد فى الوجود ، وأنه إذا ظهر فسيعيد الدولة لليهود بفلسطين مكان الجدود ، ويجمعهم بعد هذا التشريد ويهدم للمسيحيين والمسلمين أماكنهم المقدسة ، لأنها فى نظرهم مدنسة ، ويبنى الهيكل ويؤسسه ، ويهدم بحيرة طبرية لأن معموديتها فى عرفهم منجسة ، وهكذا نشأت عند اليهود هذه الخرافة ، ومع أنها كذب وسخافة ، أكدوها فى نفوسهم ونسبوها إلى كتبهم ، ونسوا أن المسيح قد ظهر بينهم وأن اتباعه كالنجوم عدا ، وأن هذه الفكرة الخيالية أصبحت لهم لحدا ؛ تفنيهم الفناء الأخير ولا تبقى منهم أحدا قال إسرائيل ولفنسون : « إن ما رسخ فى نفوس اليهود من

اعتقاد مجىء مسيح ينقذهم من البؤس والشقاء كان سببا لظهور عدة أشخاص من اليهود فى القرون القديمة والوسطى بمظهر الأنبياء والمرسلين حيث عرضوا على إخوانهم تعاليم دينية جديدة وادعوا لأنفسهم دعوة المسيح المنتظر وقد ملأت هذه القصة صحفاً كثيرة من صحف الأدب الاسرائيلى القديم والحديث ، وكثيرا ما كانت سببا فى نزول بلايا ورزايا كثيرة باليهود فى أدوار مختلفة ولا تزال هذه العقيدة إلى اليوم رائجة فى نفوس الطبقات المتدينة من اليهود(١) ألم تر أنهم لما ضرب الهيكل على يد الرومان تنبأ لهم كاذب منهم «أنه سيبنى بواسطة الملائكة» صدقوه وقاوموا الرومان . فشردت بهم من خلفهم ، وأنه لما غلب ملك اليمن اليهودى ظنوا أنه لم يغلب هو وجيشه ، وأنه اختبأ فى باطن الجزيرة وأرسلوا يفتشون عليه .

ولا أذهب بك بعيداً فإن محتالا من شبان اليهود نشأ فى الموصل فى القرن السادس الهجرى ، يعرف بابن الروجى وكان ذا جمال وفقه فادعى أنه المسيح المنتظر وتبعه يهود كثيرون من المشرق استدعاهم وطالبهم بأن يكون مع كل واحد سيف يخفيه تحت ثيابه كجمعية الإرهاب الأعمى فلما انكشف أمرهم قتله الوالى وعفا عن أتباعه وعادوا إلى أوطانهم بعد أن ذاقوا الفقر والمشقة ولكنهم ظلوا ينتظرون عودته فانتهز شخصان من محتالى اليهود ، فكتبا إلى يهود بغداد على لسان ابن الروجى « يبشرهم بالفرج الذى ينتظرونه وأن يعين لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين ، إلى القدس بفلسطين » فانقادوا وذهبوا إليها بأموالهم

---

(١) ١٠٢ تاريخ اليهود .

وحليهم وليتصدقا بها على من يستحقها ، وصرف اليهود كل أموالهم واكتسوا ثياباً خضراً وأقاموا فى تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس وارتفع من النساء بكاء على أطفالهن المرتضعة خوفاً أن يطرن قبل أولادهن ، وعجب المسلمون هنالك ولكنهم انتظروا إلى أن أسفر الصباح عن خذلانهم وانكشف وجه الحيلة حتى اشتهر هذا العام بعام الطيران »[1] .

ولما كان اليهود قد تربوا على المعجزات الحسية وقامت مملكة سليمان على الخوارق النبوية ، ظنوا أنهم يستعيدونها بالطلاسم السحرية « فمنذ أقدم العصور ترى أثر التعاليم اليهودية الفلسفية السرية ، ظاهراً فى معظم الحركات السرية ، والمصدر الذى تجتمع فيه التقاليد اليهودية السرية ، إنما هو فلسفة الكابا لا وهى كلمة عبرة ، معناها ما يتلقى أعنى التقاليد ، والكابالا مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية والشعوذة ، والسحر متعارف عند اليهود منذ أقدم العصور ، وكان دعاة السكايا لا يعلقون أهمية كبرى على السحر والشعوذة واليهود مبعث الروح الثورية وقادة الهدم كما يقول كاتب من أعظم كتابهم برنار لازار « اليهودى مضطرم بروح ثورى ، وهو داعية للثورة ، سواء شعر بذلك أو لم يشعر » .

والواقع أن الدور الذى لعبه اليهود فى الثورات الحديثة ظاهر وهو دور مزدوج بين المالية والخفار ، وقد سيطر اليهود على الشئون المالية فى أكثر ممالك أوربا وسلطوا عليها سيلا من السحرة والمشعوذين ،

(١) ص ٦٣ بذل المجهود .

وحينما هبت ريح الثورة اجتمعوا من وراء ستار ومالوا إلى الجانب الظافر ليأخذوا نصيبهم من الغنيمة »[١] .

« وفى سنة ١٦٦٦ م اضطرب العالم اليهودى من أقصاه إلى أقصاه لظهور داعية يسمى « شابيتاى تسيبى » وهو ابن تاجر من أزمير زعم أنه هو المسيح المنتظر ، وكانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة عندئذ فى المجتمع اليهودى .

ولذلك صادفت دعوة شابيتاى تأييدا كبيرا من اليهود ، بل أيدها كثير من اليهود المتنورين وأصحاب الأموال لأغراض سياسية ومالية ، وكان متمكنا من الكابالا بارعا فى السحر والشعوذة وسمى ملك ملوك الأرض ، ولكن السلطان العثمانى سخط منه وطلب بأن يثبت دعواه بأن يستقبل السهام المسمومة فادعى الإسلام تارة واليهودية طورا آخر فكرهه اليهود وسعوا به إلى السلطان حتى سجن ومات سنة ١٦٧٦ وأصبح له أتباع حتى القرن الثامن عشر[٢] » .

ويقول الدكتور حاييم وايزمن رئيس الجمعية الصهيونية العالمية فى شهادته أمام اللجنة الملكية فى نوفمبر سنة ١٩٣٦ « إن الحركات التحريرية التى قد يمكن أن تكون حركات شبه دينية وفى حقيقتها تشبه الحركة الصهيونية اليوم قد ظهرت فى القرن السابع عشر » .

فى ذلك الوقت قام شخص من بلدة أزمير وأعلن عن نفسه أنه المسيح المنتظر ، وقال إنه رأى فى الحلم أنه الشخص الموعود الذى

---

(١) ص ١٠٧ الحركات الهدامة .

(٢) الجمعيات فى السرية ص ١١٩ .

سيعيد اليهود إلى فلسطين فالتف حوله يهود من أكثر أطراف العالم ، بينهم الصيرفى والتاجر والعامل وغيرهم ، وقد كان الاستعداد للسفر إلى فلسطين عظيما من بولونيا وحتى هولاندا لدرجة أن باع اليهود أملاكهم ومتاجرهم وقطعوا كل علاقة لهم ببلدانهم[1] » .

وما كانت صلاتهم ولا تزال : « اللهم اضرب بطوق عظيم لعنقنا ، واقبضنا جميعا من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك ، رد حكامنا الأولين ، املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى نسمة — الله إله اسرائيل قد ملك لم تقول الأمم أين إلههم ؟ ، انتبه ، لم تنم يارب !!! استيقظ من رقدتك !! »[2]

الصهيونية

الصهيونية كلمة مشتقة من جبل « صهيون » القائمة على سفحه مدينة القدس فكأنها ترمز إلى امتلاك هذا الجبل بما يحيط به ، وكان على سفح هذا الجبل مدينة صهيون « بيت لحم » رمزوا إليها إشارة إلى إعادة ملك داود ، فالصهيونية فكرة خيالية سياسية استعمارية ، تعمل على تكوين دولة يهودية بفلسطين مع إحياء اللغة العبرية والديانة اليهودية ؛ وبينما كان اليهود مشتتين فى العالم ، رأوا أن الدول الأوربية تتسابق على استغلال الشرق واستعماره على حين غفلة منه ، ففكر رجال من اليهود فى العمل على تكوين دولة لهم فى الشرق الخام ، ولكنهم لا يستطيعون أن يقنعوا سواد شعبهم إلا بفلسطين التى يظهر فيها مسيحهم على زعمهم ،

---

(١) شهادات ص ٤٥ .
(٢) بذل المجهود .

فى أواخر القرن التاسع عشر قام الدكتور هِرْتسل الألمانى بالدعوة إلى الحركة الصهيونية وألف كتابه الحكومة اليهودية وهو إنجيل الصهيونيين حتى اليوم ، ولا تظن أن الفكرة ناشئة من اضطهاد الأمم لهم ، وإلا فقد كان فى مجاهل إفريقيا أو فى أمريكا الجنوبية أو استراليا ما يجمعهم، إنما الصهيونية فكرة خيالية دينية فى ثَوْبٍ استعمارى ذليل والذلة أضحت جبلة فيهم فهم لا يستطيعون عملا وإنما يلتجئون إلى دول يتملقونها بمسكنة وبذهبهم ، قال تعالى « وعبد الطاغوت[1] » .

وقد نشأت الحركة الصهيونية فكرة وهمية لايمكن تحقيقها ، ولكن الإنجليز بدهائهم نفخوا فيها رغبة فى تأييد استعمارهم .

ويحدثك الدكتور وايزمن رئيس الجمعية الصهيونية العالمية : —
« ما كدنا نباشر عملنا فى سنة ١٨٨٣ فى المؤتمر اليهودى الأول حتى جرب الزعيم الأكبر للحركة اليهودية الدكتور هرتسل مفاوضة عظمة السلطان بشأن العودة إلى فلسطين ، ولما كان الأمل فى الحصول على شىء ملموس فى يوم من الأيام من الحكومة التركية آخذاً فى الضعف كان يأمل الزعيم « الصهيونى » أن يأتى يوم تمد فيه انجلترا يد المساعدة إلى اليهود .

فى ذلك الحين سنة ١٩٠٢ عاد المستر تشمبرلن من رحلته فى أفريقيا وعرض على اليهود بلاد أوغندا ، وبينما كانت حركتنا حينئذ لاتعتبر حركة واقعية ، ونرى أنها بعيدة جداً عن تحقيق أمانيها ، إذ بنا نرى

---

(١) أى دول الطغيان

أكبر حكومة فى العالم تنظر إلينا بعطف واعتبار وتعرض علينا بلاداً واسعة خصبة الأراضى تقرب مساحتها من مساحة حكومة الانتداب أى ٨ آلاف ميل مربع ، ومع ذلك فإنه حينما عرض هذا الاقتراح على المؤتمر الصهيونى أحدث ضجة كبيرة وأقام جدالا عنيفا ، وكان الرفض من أجل سبب واحد ، وهو أن هذه البلاد ليست فلسطين ، وقد اعتمدنا أن نرسل كتاباً للمستر تشمبرلن نعلن فيه شكرنا لاقتراحه وأسفنا لعدم إمكاننا قبوله على أمل أن يعرض علينا اقتراح آخر فى أحد الأيام القادمة ، لقد صبرنا « ألفين سنة » وباستطاعتنا أن نصبر بضع سنين أخرى يحقق الرب فيها وعده للشعب اليهودى (١) » .

ولعلك أدركت أنها فكرة دينية خطرة لإقامة مسيح منتظر نفخ فيها الإنجليز لأغراضهم الاستغلالية بينما رفضها الأتراك لأنهم يؤمنون بالمسيح عيسى ويدركون أن هذه الفكرة ستقضى على الأماكن المقدسة للمسيحين والمسلمين فى هذه البقعة الطاهرة التى لا يستقيم حالها — إلا بالعرب .

ولما قامت الحرب العظمى الأولى أظهر كبار الماليين من اليهود سبائكهم الصفراء للمتحاربين مشترطين الاعتراف بالوطن القومى لليهود بفلسطين فانتهز الانجليز هذه الفرصة وارتكبوا هذه الغلطة للأسباب الآتية : —

١ — استغلال المال فى الحرب الطاحنة .

٢ — حياة انجلترا معلقة بالهند ومفتاحها قناة السويس .

(١) ص ٤٥٨ شهادات .

فإن كانت قد احتلت مصر ووضعت الحماية عليها أثناء هذه الحرب وعلى جانب القنال الغربى فلم لا توجد سبباً آخر تحتل به فلسطين شرق القنال إلى الأبد ؟.

وتوجد عنصراً مناوئاً من اليهود ذا آمال وهمية فى مسيح منتظر « دجال » ولا بد أن يحدث اصطدام بين العرب من جهة واليهود من جهة أخرى لأنه لن يلتقى المسيح المنتظر وخيالات اليهود الوهمية مع حقائق المسيح عيسى ورسول الإسلام عليهما السلام.

وقد قطعت انجلترا للملك حسين بصفته ممثلا للعرب عهوداً بقيام دولة عربية مستقلة تشمل فلسطين وسوريا والحجاز والعراق واستنادا إلى هذه العهود قام بثورته الكبرى ودعا إليها العرب فكان متطوعو فلسطين من أول الذين انضموا إلى جيوش الثورة العربية التى توجت بالنصر بدخول الأمير فيصل بجيشه دمشق فى خريف سنة ١٩١٨ بعد أن استولى اللورد اللنبى على القدس سنة ١٩١٧ بمساعدة فلسطين.

وانجلترا أيام الحروب أرغب ما تكون فى اكتساب عطف الشعوب والتخفيف من ثائرتهم بالدعايات والوعود وتراها تحصر نشاطها فى الظاهر بأنها تحارب من أجل الدول المظلومة وتنصرف إلى المكيدة لإيقاع التنافر بين الشعوب المتجانسة كما فعلت بالعرب مع الأتراك وقد مكنتها معرفتها بطبيعة الشرقيين من أن تجذب رجالا أقوياء يقفون فى صفها ويكمون الأفواه وانجلترا بارعة فى دهائها.

وقد كان من واجب العرب أن تعرف هذا الدهاء وهذه النعومة القاتلة وانجلترا يملأ صدرها الحقد على الإسلام كبقية الدول الأوروبية

والأمريكية كما تراها تحاول القضاء على العزة العربية ولو فى داخل الجزيرة بالمال والذهب وبينما يقوم العرب بثورتهم الكبرى وانجلترا تفاوضهم وتكتسب عطفهم بالوعود والتصريحات الرسمية كانت ويا للعار تعطى وعد بلفور لليهود .

ولما وضعت الحرب أوزارها فوجىء العرب فى فلسطين بصدمة شديدة وقعت عليهم كالصاعقة وذلك باطلاعهم على وعد بلفور وعلى محاولة فصل فلسطين عن سوريا التى هى جزء منها والتى تكون معها وحدة تامة فى اللغة والتاريخ والجنسية والمصالح المشتركة وكانت الأحكام العرفية تحول بينهم وبين الاطلاع على ما يدبر عليهم فى الخفاء ومما يزيد فى المشاكل اعتياد الإنجليزية الدبلوماسية العتيقة على صوغ المعانى فى قوالب من التعابير الغامضة المطاطة التى يسهل معها سوء الفهم وتحدث تفاسير متضاربة .

ومن أبرز الأمثلة تصريح بلفور وواضعه كما ترى قد تعمد اللعب على الحبلين والاصطياد فى الماء العكر ، دبلوماسية بالية لا تسمح للعالم أن يركن إلى السلام ، وإليك هذا التصريح المشئوم .

وعد بلفور

كتاب أرسله اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية إلى اللورد روتشيلد يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهذه ترجمته : —

عزيزى . . . يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح إلى المشروع الذى يراد به أن ينشأ فى

فلسطين وطن قومى لشعب اليهود . وتفرغ خير مساعيها لإدراك هذا الغرض ، وليكن معلوماً أنه لايسمح لإجراء شىء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التى للطوائف غير اليهودية الموجودة فلسطين الآن ، أو بالحقوق التى يتمتع بها اليهود فى البلدان الاخرى وبمركزهم السياسى فيها » .

إن هذا الوعد باطل فقد كان تشتيت اليهود من فلسطين سنة ١٣٥ م ولم يبق لهم فيها وجود إلا حفنة لم تعش إلا بفضل التقاليد العربية ، وقد استقر العرب فى فلسطين منذ آلاف السنين وما زالوا هم أصحابها الشرعيون فكيف تتصرف انجلترا فى ملك الغير بهذا الوعد المشئوم أتريد أن تجعل المستحيل ممكنا بإنشاء وطن قومى لليهود فى بلاد عربية محاطة بالأقيانوس العربى من كل الجهات . لقد ساءت إلى العدالة وجعلت الأرض المقدسة بيئة فتن دامية ليس من المستطاع أن تهدأ ما دام الشذوذ رائدها ، وإن التاريخ لم يرو حادثا مثل هذا كما أن الإصرار على هذه السياسة ليس فى مصلحة المسيحيين أو السلم العالمى الذى ابتلى بسياسة انجلترا الملتوية التى تدخل فى ثلاث مفاوضات مختلفة المقاصد على شىء واحد وفى وقت واحد وهذا ما حدث حول فلسطين ، فلسطين معترف بعروبتها واستقلالها مع الأمبراطورية العربية للشريف حسين فى عهد مكماهون ، وفلسطين تصبح منطقة دولية فى أتفاقيه سيكس بيكو التى عقدتها فرنسا وانجلترا لتقسيم الشام بجعل سوريا لفرنسا وفلسطين منطقة دولية لقربها من قنال السويس الشريان الرئوى للامبراطورية البريطانية ، وفلسطين ينشأ فيها وطن قومى لليهود بموجب وعد بلفور .

ففلسطين واحد فى ثلاثة أو ثلاثة فى واحد فى الوقت نفسه تلك هى وعود الغرب ، وهذه معاهداتهم التى تمزق وقت الكتابة لأنها سياسة قائمة على الغش والتدليس سياسة الألفاظ المطاطة الخداعة ، سياسة الحقد الدفين على العرب والمسلمين . أليس وعد بلفور وليد دبلوماسية مستترة غامضة لأن أملها معقود على المقام فى فلسطين بعد أن بدأ الضعف فى مركزها بمصر والعراق ، وهذه هى طريقتها منذ القدم . فهى إما أن تستفز الحركة الوطنية للايقاع بها والقضاء عليها كما فعلت بمصر أيام عرابى ثم احتلتها ، أو أن توجه الحركة الشعبية التحريرية عن أهدافها وتوجهها ضد عدو موهوم كالدولة العثمانية المسلمة لينصرف العرب عن النضال ضد الاستعمار . وما الصهيونية التى أتت بها انجلترا إلا امتداد اقتصادى وسياسى للاستعمار ، والصهيونية حركة استعمارية لها ناحيتها الاقتصادية فى تصدير الأموال البريطانية والأمريكية من فلسطين إلى الشرق لاستثمارها ولها ناحيتها السياسية فى جمع أقلية كبيرة هم اليهود فى بقعة من العالم العربى ليقفوا من الأهلين موقفا عدائيا فيحتاج إلى حماية الاستعمار ، ويبرر الاستعمار بقاء جيوشه فى فلسطين والشرق العربى ، ولها ناحيتها الدينيه فهى تجمع أناسا ليأخذوا قهرا أماكن مقدسة للمسيحيين والمسلمين لأنها كانت منذ آلاف السنين لهم فالصهيونية امتداد اقتصادى وسياسى للاستعمار يجب مكافحتها مع مكافحة الاستعمار ولا يجوز اعتبار أمريكا وانجلترا وغيرهما حكما فى النزاع بين العرب واليهود لأن الاستعمار مبعث قوة الصهيونية كما لا يجوز اعتبار الصهيونيين حلفاء العرب فى مكافحة الاستعمار لأن

ثورتهم عليه ليست من أجل التحرر منه ، بل ليزيدَ من تأييده لهم .

إن كفاح العرب الوطنى الصحيح كفاح موجه ضد الاستعمار والصهيونية معا فى آن واحد ، ويريد الإنجليز حصر الحركة الوطنية فى فلسطين فى قمع الكفاح ضد الهجرة الصهيونية التى ابتدعها بأساليبه وصرفها عن النضال من أجل التحرر ليثبت قدميه بالقرب من القنال والبحر الأبيض المتوسط فليست قضية فلسطين قضية مكافحة الهجرة لا غير ، بل قضية التحرر من الصهيونية والاستقلال معا .

فلسطين تكافح

بعد الحرب الكبرى الأولى اشتغل كل قطر عربى بإزاحة كابوس الاستعمار الذى دهمه ، ولم تصب بلدة من بلاد العالم بما أصيبت به الأرض المقدسة من نكبات وويلات جاءتها عن طريق تصريح بلفور والصهيونية ومن ورائهما الانتداب ، وكان هذا التصريح والحرب قائمة والأحكام العرفية معلنة والأفواه مكممة والأخبار مستورة ومبادىء ولسن مشهورة ومواعيد انجلترا العذبة مبذولة وزعماء اليهود يخاتلون ويموهون على العرب فى بادىء الأمر ويتظاهرون بمسكنتهم التى ضربت عليهم وبذلتهم التى لزمتهم ويطلبون الرحمة بأولئك اليهود الذين شردتهم بعض الحكومات الأوربية وسادتهم الساسة البريطانيون يرسمون لهم الخطط التى يدلسون بها على السكان الآمنين فهى ترسل أولا عددا محدودا يهاجرون إليها حتى لا يشعر الأهالى بهم ويتهافتون على شراء الأراضى صفقات من هنا وهنالك . فانتبه العرب إلى الخطر المحدق

م.ز . وقضية فلسطين قضية عربية قومية استقلالية لا تختلف فى جوهرها عن قضايا العرب وسائر البلاد العربية إلا بما ابتدعه الإنجليز من انتزاع العرب من أرضهم وإخراجهم من وطنهم وسلخه بدولة يهودية تكون مركزاً لها فى الشرق الإسلامى وقرر صك الانتداب على فلسطين فى ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ من قبل مجلس عصبة الأمم المنعقد فى لندن وأدمج فيه وعد بلفور ، ولم يكن بفلسطين إلا العرب لا يجاورهم فيها إلا سبعة فى المائة من اليهود يعيشون معهم فى هدوء وأكثرهم من الشيوخ الذين كانوا ينتظرون يوم البعث فى أرض الميعاد ويقول «وزمن» رئيس الجمعية الصهيونية العالمية : «كنت فى زمن الحرب العامة فى فلسطين وكان لى الشرف أن أكون بمعية اللورد اللنبي ورأيت أمام عينى اليهود الذين كان يقطنون يومئذ فلسطين شيوخ فى نهاية عمرهم أتوا إلى فلسطين ليقيموا الصلوات فوق ترابها المقدس وليموتوا فيها ويحصلوا على قبر فى أرضها المقدسة[1]» .

لقد وقفت فلسطين فى حلبة مأساة مروعة يريدون أن يأخذوها لقمة سائغة لتصبح بيئة يهودية إباحية إرهابية رأسمالية ويسمونها وطناً قومياً ينطبع بطابع الشر إذ ما دفعته إلا المطامع الاستعمارية .

ويذيع اللورد اللنبى فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ بيانه فى جميع فلسطين «إن الغاية التى رمى إليها الحلفاء من خوض غمار الحرب فى الشرق هى تحرير الشعوب التى تحت حكم الأتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم وأنه ليس

(١) شهادات ص ٤٦٨ .

لبريطانيا ولا لفرنسا أى قصد فى وضع نظامات خاصة لحكومة هذه الأقطار » .

وصرح بلفور نفسه لفلسطين باستقلالها وطمأنها وعقد مؤتمر الصلح فولد عصبة الأمم التى قررت مبدأ تقرير المصير ومبدأ الاعتراف باستقلال البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية بند (٢٢) ، وألغت المادة « ٢٠ » منه جميع المعاهدات السابقة المناقضة لمبادىء هذا العهد ومن أجل ذلك أوفدت لجنة كرايم إلى فلسطين للاستفتاء فكان الإجماع منعقداً على الوحدة العربية ورفض الهجرة الصهيونية ولكن انجلترا صمت أذنها ومضت فى سلخ فلسطين ومنحها للصهيونيين فأدمجت صك الانتداب مع وعد بلفور سنة ١٩٢٢ بواسطة عصبة الأمم « جماعة اللصوص » ونسيت العهود والوعود .

والتاريخ لم يرو حادثا مثل هذا وانجلترا ممعنة فى ظلم وإجحاف العرب مع خضوعها للمطامع اليهودية ومنحهم امتيازات ومعاملتهم بالتحيز والمحاباة .

وقد عينت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة فى أزمنة مختلفة للنظر فى ظلامات العرب ولكنها لم تسفر عن شىء وبسبب نفوذ اليهود ودعاياتهم فى الخارج وصلاتهم بالحكومات الكبرى بالمال ولأن انجلترا تريد بقاء هذه الفتنة فى هذا القطر الشقيق وآية ذلك أن الانتداب معناه وجود حكومة وطنية تقوم بشئون الحكم ، بجانبها حكومة الانتداب تساعدها وترشدها إلى الوقت الذى تتمكن فيه تلك الحكومة الوطنية من الوقوف بنفسها أما فى فلسطين فهناك الإنجليز يحكمون من غير

حكومة أساسية من أهلها على عكس ما وقع فى الأقطار العربية الأخرى وذلك لتنفرد انجلترا بالحكم فى هذا القطر المقدس وتستتر وراءه وعدا تنفذه لليهود فى أرض لم تكن أرض أبيها ولم يكن لها فيها شبر حين قطعته، ولأجل مال اليهود يضعون فلسطين فى حالات إدارية واقتصادية وسياسية تسهل إقامة وطن قومى كما تنص المادة الرابعة من صك الانتداب على إقامة وكالة يهودية لمعاونة الحكومة وإرشادها وكأنهم أوجدوا حكومة يهودية تشرف على الحكومة الإنجليزية المنتدبة وحرمت العرب من الحكم الذاتى .

إن قضية فلسطين قضية حرية واستقلال وانجلترا تحاول أن تلبس سياستها المضحكة ثوبا جذابا فتجعل هذه البلاد المقدسة بلاد فتن دامية من المستحيل أن تهدأ ، ألمثل هذا وجدا لانتداب ولكن أهل فلسطين لم يهنوا ولم يستكينوا بل عقدوا المؤتمرات وكافحوا وأوفدوا الوفود إلى لندن لإلغاء هذه السياسة والمطالبة بالوعود حتى أن مجلس اللوردات أصدر قراراً سنة ١٩٢٢ بوجوب الرجوع عن هذه السياسة ووضع دستور لفلسطين يتفق مع رغبات العرب والوعود المقطوعة لجلالة الملك حسين ولكن انجلترا لم ترعو حبا فى الذهب البراق وتثبيتا لاستعمارهم فى هذا المكان الممتاز .

ولقد كانت تهز البلاد حوادث تؤدى إلى اضطرابات حتى كادت تشمل البلاد وتعمها سنة ١٩٢٩ وكل اضطراب ترسل انجلترا لجنة تحقيق فتكتب بعد التحرى والسؤال والجواب تقريراً خلاصته .

« فلسطين للعرب » غير أن هذه التقارير هى بمثابة مسكّن لا تلبث أن توضع على الرف .

ولكن العالم الإسلامى كان قد بدأ يفيق من اللطمة التى صدمته من الاستعمار ، وكاد يجمع شمله بعد أن مزقته يد الغاصبين . وقد عقد رجالات الإسلام مؤتمرا إسلاميا عاما فى القدس سنة ١٩٣١ .

وفى سنة ١٩٣٣ ازدادت حركة الهجرة وأخذ الخطر يتجسم أمام العرب فقاموا بمظاهرات ولكن الإنجليز أوقعوا بمجزرة فظيعة بهم .

ثورة سنة ١٩٣٦ فى فلسطين

مشكلة فلسطين مشكلة عقيمة خلقتها سياسة الاستعمار . وستجر على الانجليز والصهيونيين معا الدمار ، لأن الأرض المقدسة للعرب الأخيار لا للصهيونيين الإرهابيين الأشرار ، والعربى قوى شجاع لا يألف المسكنة والإتضاع وما دام الانجليز قد قلبوا الأوضاع فلن ينتهى هذا الصراع إلا بفناء الصهيونية ، وطرد الامبراطورية ، والعرب لا يرضون بالدنية .

ولما زادت الهجرة ونشطت حركة شراء الأراضى واستورد اليهود السلاح رأى العرب سنة ١٩٣٤ أن يلجأوا إلى المفاوضات عند الانجليز أصحاب المتناقضات وأخيراً لم يجدوا غير زخرف من القول . وتسويف يجر هو لا وراء هول فلم يجدوا بداً من أن يهبوا هبة رجل واحد يذودون عن حياضهم ويدافعون عن عرينهم وأطلقت الرصاصة الأولى من البطل اللاذقى عز الدين وكان من سوريا ضيفاً على أهل فلسطين وألف أول عصابة كان فيها من المستشهدين بعد أن نكل بالمستعمرين ولكنه

أعطى درسا للجماعات بأن الكفاح لايكون بالمذكرات والاحتجاجات إنما بالجهاد والقتال .وبذل الدم والروح والمال ، واتجهت الأنظار إلى تنظيم حركة العصيان المدنى ، فتألفت اللجنة العربية العليا فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٦ وأصدرت هذا القرار :

١ — الاستمرار على الاضراب العام إلى أن تبدل الحكومة سياستها المتبعة فى فلسطين تبديلا أساسيا تظهر بادره فى وقف الهجرة الصهيونية .

٢ — ستعمل اللجنة مع الأمة مستمدة من وحيها وصادق عزمها على تحقيق المطالب الأساسية التى لاتفتأ تطالب بها بقوة وهى :

(١) منع الهجرة اليهودية منعاً باتا .

(ب) منع انتقال الأراضى اليهود .

(ح) إنشاء حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابى .

٣ — وتنتهز اللجنة هذه الفرصة لتحيي أرواح الشهداء الذين سقطوا صرعى الظلم وتشكر للأمة الباسلة عزمها الصادق على بذلها شتى التضحيات لتحقيق مطالبها . وتعاهد اللجنة الأمة الكريمة على السير فى الطليعة فيما اعتزمته من كفاح شريف عادل وعلى الاستمرار فيه إلى النهاية .

وتحولت الحال فى الأراضى المقدسة من مطالب إلى مظاهرات إلى إضراب إلى عصيان مدنى إلى ثورة مسلحة هاجموا فيها الحكومة الإنجليزية ونازلوها . فكان ذلك بدء الثورة الحقيقية التى أدهشت العالم وكتبت للعروبة صفحة مجد جديدة فى تاريخهم . وأقبل الشباب العربى إلى القطر الشقيق من جميع الأقطار ، يدافعون مع إخوانهم

العرب الأحرار ، عن الأراضى المقدسة مسرى النبى المختار ، وأقبل المجاهد البطل فوزى بك القاوقجى من العراق مع إخوانه يجاهدون ، وجاء شباب الشام من سوريا ولبنان لشد أزر إخوانهم الفلسطينيين وكان العالم العربى جميعه يحدب على هذا القطر المجاهد ويرقب أخباره ويتهافت الاهلون فى سوريا ولبنان والعراق ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش على قراءة الجرائد يتتبعون أخبارها وباستماعهم إلى المذياع تنبض قلوبهم مع إخوانهم المجاهدين وكانوا يبذلون الإعانات لهذا الشعب الصغير الزائد عن كيانه ذلك الشعب الذى أذهل العالم فى بطولته ورجوليته وإقدامه وكانت الصحافة العربية على اختلاف الديار تدافع عنهم وتدعوا إلى تأييدهم وكذلك شأن الجمعيات والهيئات العربية فقد وقفت صفا واحداً فى جانبهم .

وفى خلال مدة الإضراب حاول نورى السعيد وزير خارجية العراق التوسط فى حل المشكلة باسم ملوك العرب وكاد الإضراب ينتهى لولا أن اليهود قلقوا لهذا الاهتمام الذى يبديه ملوك العرب وأقطابهم بقضية فلسطين . فأثاروا ضجة عنيفة فى انجلترا واحتجوا على الحكومة الإنجليزية لقبولها وساطة ملوك العرب . فما كان من وزير المستعمرات إلا أن صرح فى مجلس العموم أن الحكومة الإنجليزية لم تكلف نورى باشا السعيد ولم توسط ملوك العرب ، وهكذا لعبت السياسة الإنجليزية كدأبها مما نفخ فى الثورة روحا جديدة أشعلتها .

وفى هذه الآونة أعلنت الحكومة الإنجليزية أنها عينت هيئة اللجنة الملكية برئاسة اللورد بيل . لتحقيق مسألة فلسطين ، واشترطت الهدوء

ولكن العرب أبو الرجوع عن الثورة ، قبل صدور الأمر بوقف الهجرة .

ثم عاد ملوك العرب وكلفوا نورى باشا السعيد بإعادة الكرة ، والتوسط بإيقاف الإضراب والثورة ولكن العرب الذين لم يثقوا بوعود الإنجليز ظلوا مضربين ثائرين فاضطرت الحكومة الانجليزية إلى إرسال اللجنة الملكية فوصلت القدس فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ .

وبينما كان العرب يتحفزون لأداء شهاداتهم ، أمام هذه اللجنة التى حلت بأرضهم وإذا بانجلترا تمكر بهم ، وترخص لألف وثمانمائه من الصهيونيين ، فى ستة شهور بالهجرة إلى فلسطين فأضرب العرب عن أداء الشهادة ، احتجاجا على هذه البلادة إذ عدوها تحديا للشعور فى هذه الهدنة ، وقد كانوا قد وعدوا بإيقاف الهجرة تسكينا للفتنة ، إلى أن يصدر تقرير هذه اللجنة ، فأرغمت الحكومة البريطانية على توسط الدول العربية ، التى أقنعت عرب فلسطين بالاتصال باللجنة الملكية وبسط قضية العرب ومطالبهم الشرعية .

ظلت ثورة فلسطين ستة شهور من ١٢ أبريل سنة ١٩٣٦ وانتهت يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٦ بعد أن أزهقت فيها أرواح وامتلأت بسببها سجون ، وتحمل العرب كوارثها بقلوب ملؤها اليقين ، كفاحا أمام هذا الخطر اللعين ، وكم أريقت دماء ، وكم رملت نساء ، دفاعا عن كرامة الوطن العزيز ، وجهادا ضد الصهيونية والانجليز وتقدمت الهيئة العربية ، أمام اللجنة الملكية ، للدفاع عن الشعب الفلسطينى ، يتقدمهم زعيمهم المجاهد السيد أمين الحسينى وأدلى كل واحد بحجج دامغة ، وأبانوا أن فلسطين ليست لقمة سائغة إنما أهلها عرب منذ بدء الخليقة

والقدم ، فكيف تتجر إنجلترا بالذمم وتخلق مشكلة من العدم ، وتساير الصهيونية وخيالها وتعطيها أرضا ليست لها ، وتخرج منها أهلها .

وتمنح الهجرة إلى فلسطين برخصة وتسميها هجرة شرعية ، كأن الأرض المقدسة بلاد إنجليزية ، وفى سبيل المال كفرت بالمسيحية ، وجاءت بشذاذ الآفاق يعلنون الإباحية ، ويدنسون كنيسة القيامة وبحيرة طبرية وتتظاهر أمام الدول الأوربية والامريكية ، بأنها تعطف على الطائفة اليهودية ، على حساب الأمة المسلمة العربية ، بينما عرب فلسطين قائمون على حماية الأماكن المقدسة للعالمين ، ويقول سيادة المطران غريغوريوس الحجار فى شهادته أمام هذه اللجنة فى ١٧ كانون الثانى سنة ١٩٣٧ : « الخلاف فى فلسطين ، هو أعمق مما تظنون . بين العنصر الفلسطينى العربى ، والعناصر الصهيونية . قلت العنصر الفلسطينى العربى ، وهو يضم مسلمى ومسيحيى فلسطين وغيرهم من ذوى المذاهب الأخرى الذين تجمع بينهم روابط الدم واللغة .

ثم قلت إن الاختلاف بين العنصر العربى ، وبين العناصر اليهودية ذلكم لأن اليهود هنا ليسوا من عنصر واحد ولا من دم واحد فمنهم بولونيون وروس ، وتشكوسلوفاكيون وأفرنسيون وانكليز وأمريكان وألمان . . .

ولا تجمعهم إلا رابطة الدين ، ولذلك لا نفهم معنى الوطن القومى الذى وعدوا به : أى قومية يا ترى يعنيها الوعد ؟ أهى الإنكليزية أو الفرنسية . . . ؟ فقد اعتاد الحلفاء أن يراعوا القومية والجنسية فى تقسيم البلدان . أما هنا فالجنسيات متباعدة بل متعادية ، وهم يريدون

أن يجعلوها قومية واحـدة !!! لكى يرتكبوا مظلمة تاريخية فاضحة !!
ولا أظنكم إلا موافقين على أنه لا يوجد شعب يهودى فى العـالم ،
ولو سألنا بلوم رئيس وزارة فرنسا ، وهربرت صموئيل من أى جنسية
هما ؟ لأجاب كل منهما بالانتماء إلى الأمة التى يحكمها ، فاليهودية إذن فى العالم
ليست هى إلا دين كالإسلامية والمسيحية ، ووعد الحلفاء إنمـا هو
لليهودية الدينية ، لأن من كان يهوديا وتنصر أو أسلم يحرم من ثمرات
وعد بلفور ولو كان ابن إبراهيم ومن نسل داود والعكس بالعكس ،
ومتى أصبحت فلسطين لدين واحد . فالمنطق يقضى بأن يكون كل أصحاب
الأديان الأخرى غرباء فيها فإذن هم يصبحون بقوة هـذا الوعد أصحاب
البلاد ونحن نصبح كزنوج أمريكا ، وهل هـذا يا ترى يكون عادلا ؟
يجيبنى الكثيرون على أنه منذ ألفى سنة كانت أمة تسمى اليهودية ساكنة
فى فلسطين على حين أن هذه الأمة لم تملك إلا قسما من فلسطين ، ملكا
متقلقلا ، وفضلا عن ذلك فإن القسم الأكبر من يهود عصرنا ليسوا من
الأمة القديمة المنتمية إلى يعقوب وداود . فالتاريخ يخبرنا أنه فى القرن
الثانى للمسيح قد اعتنق اليهودية سبعمائة ألف من الوثنيين التتر فى روسيا
وهؤلاء كما أظن أصبحوا فى خلال ١٨٠٠ سنة لا أقل من خمسة إلى
سبعة ملايين من عشرة ملايين ، تعدها الأمة اليهودية ولا يمتون إلى
يهودية داود بقرابة إلا الصلة الدينية ، فرابطتهم بهذه البلاد التى تجذبهم
إنمـا هى نزعة دينية محضة ، ولكن هـذه النزعة لا تتحملها ولا يمكن
أن تتحملها الديانتان الإسلامية والمسيحية فالديانة اليهودية تضم الآن
عشرة ملايين والإسلامية أربعمائة مليون والمسيحية ثمانمائة مليون ، وهى

تصطدم معهما اصطداما عنيفا لا لين ولا هوادة معه .

إن اليهود يطمحون إلى الهيكل السليمانى وهو غايتهم الأخيرة لأنهم بدونه لا يستطيعون أن يقدموا ذبائح وضحايا ولا يكون لهم كهنة .

أستطيع أن أقول إن فلسطين بدون الهيكل السليمانى لا قيمة لها فى نظرهم ، بيد أن هذا الهيكل هو مقدس من أجل المقدسات الإسلامية وثالث الحرمين ، وكل مسلم يتفانى فى الدفاع عنه فى أى بقعة أقام .

هذا من الجهة الإسلامية ، أما من الجهة المسيحية : فاليهودية تطلب هذه البلاد كأرض الموعد لها ، لكن الدين المسيحى يجيب قائلا إننا نحن إسرائيل الجديد . نحن أبناء إبراهيم بالموعد ونحن حللنا محل اليهودية القديمة .

وفلسطين كأرض الموعد من جهة دينية نرى أن المسيحيين ينازعون اليهود فيها وزد على ذلك أن الدين المسيحى يقول لليهودى إن روابطى بفلسطين أقوى جدا من روابطك ، والدين المسيحى يعترف بالإخاء البشرى العام وبالمساواة بالحقوق أما الدين اليهودى فلا .

أما المقدسات المسيحية فلم تنهك حرمتها للآن بطريقة واضحة لكن ما قولكم إذا كانت هذه المقدسات محاطة بمن يرونها كما نرى نحن هياكل الوثنيين ولذلك تفقد قدسيتها ، ولهذه النظرية قد كانت الحكومة العثمانية حظرت على كل يهودى أن يمر أمام كنيسة القيامة ، بل إن فلسطين كلها تسمى الأرض المقدسة باللغة المسيحية ، وعندما يصل الزوار إلى شواطئها يركعون ويقبلون الأرض .

أما استهال ديانتنا وإكرام رؤساء ديننا فقد كان مضمونا

بالامتيازات التي منحتنا إياها سلاطين آل عثمان وخلفاء المسلمين ، ومع ذلك فذات يوم على أثر تجديف على قذف به أحد اليهود مسيحنا شئنا أن نعمل (ذباحاً) دينياً بحسب مراسيم عوائدنا بين كنائسنا فصدتنا الحكومة بالقوة وأجابنا الحاكم : « نخشى أن يعتدى على شعوركم الدينى أحد اليهود » ثم أن بطريركنا ، شاء أن يقوم بزيارة دينية رسمية لأول مرة لفلسطين ، وكان علينا بحسب عوائدنا الدينية أن نمر أمامه بموكب دينى مع الصليب ، فمنعنا أيضاً للسبب نفسه .

ولما شاء أن يقوم البطريرك من حيفا إلى يافا رأساً أوجب عليه الحاكم ألا يجعل طريقه بتل أبيب « المستعمرات اليهودية[1] » وأيده حضرة القس إلياس راعى الطائفة الإنجيلية العربية وقال أمام اللجنة : « أؤيد ما قاله سيادة المطران حجار وأوجه نظر اللجنة إلى أن تجربة الوطن القومى تجربة خطرة إذ أنها تحاول الجمع بين عقليتين مختلفتين متناقضتين من جهة المقاصد ومن جهة الأخلاق والآداب ومن حيث القوة والضعف مالا وكفاءة ، وستظل مسألة الوطن القومى مصدر خطر وقلاقل ، كما برهن على ذلك تاريخ البلاد وطالما السياسة الحاضرة سائرة ستظل المتاعب للحكومة والعرب واليهود معا ، وعلاوة على هذا إن ما قد شاهدناه حتى الآن من المهاجرين ينذر بخطر على الآداب ، وهذا معلوم من انتشار المبادىء الشيوعية واللادينية وفساد الأخلاق[2] » .

وبعد أداء الشهادات قدمت عدة مذكرات ، وأنجزت اللجنة الملكية

(١) ص ٦٢ شهادات .
(٢) ص ٣٢٤ شهادات .

مهمتها وعادت إلى بلادها فى ١٨ يناير سنة ١٩٣٧ وعكفت على وضع تقريرها الذى ظهر يوم ٨ يوليو سنة ١٩٣٧ وكان كفأر تمخض عنه جبل ، ومشروعاً صيغ من أغراض وعلل ، يقسم فلسطين أقساماً ثلاثة فهل رأيتم بعد هذا مغالطة وسخافة ؟ وجعل للعرب الأرض الصحراوية ومنح اليهود الجنة الساحلية . وربض الإنجليز بالأماكن القدسية .

وهذه سياسة مبيتة مطوية يخفونها لتسكين الحركات الثورية وينشئون لجاناً ومؤتمرات كفلم للتسلية ، يكتسبون به الوقت ويعمدون إلى التعمية وليست سياسة إرسال اللجان إلا من قبيل تخدير الأعصاب ، وإلا فهل يحتاج إلى دليل هذا الاغتصاب ألم يوفدوا إلى فلسطين منذ احتلالها ١٨ لجنة للتحقيق ، ولم ينتج عنها أية فائدة للقطر الشقيق بل كانت الحال تتحول بعد صدور تقارير اللجان عنها ، من حال إلى حال أسوأ منها طبقاً للخطة الاستعمارية المرسومة ، والسياسة الخائنة المشؤومة وقابل عرب فلسطين تقرير اللجنة الملكية بالوجوم والاستنكار ، لأنه قضى بتجزئة بلادهم الصغيرة الرقعة إلى ثلاثة أجزاء .

وأجمع العرب فى جميع أقطارهم على استنكار التقسيم ورأوا فيه أداة جديدة لتمزيق بلادهم فعقدوا العزم على مقاومته ، وكان العراق أول من استنكر هذا التقسم اللعين . ولبى نداء فلسطين ، ورد حكمت بك سليمان رئيس الوزارة العراقية على سؤال لجريدة البلاد البغدادية عن مشروع التقسيم فقال :

« لا أجد كلمة تكفى للتعبير عما ساورنى من ألم مرير لدى اطلاعى

على تقرير اللجنة الملكية الذى جاء فى يوم تتطلع فيه الأمة العربية إلى المستقبل بأمل باسم وتجيش العزة القومية فى صدر أبنائها .

وكان على اللجنة الملكية أن تنظر كيف اقتحم هؤلاء اليهود عرين الوطن العربى ، فقد طعنت بهذا القرار كل عربى وكل مسلم وكل شرقى فى الصميم باغتصابها أرضاً عربية يقطن فيها أهلها العرب من آلاف السنين .

ولا يسعنى بصفتى رئيس حكومة عربية ، إلا أن أطلب إلى أبناء الأمة العربية أن يؤازروا فلسطين بكل قواهم ، فقد دنت الساعة التى يجب فيها على العرب أن يكونوا يداً واحدة وجسما متحدا فإن حق الأمة العربية صريح جداً وهو لا يقبل التجزئة ولا التقسيم أما إذا مضت انجلترا وقسمت فلسطين وألحقت جزءاً منها بشرق الأردن ، فلا أعتقد أن هناك شخصاً يرضى بأن يتولى رئاسة هذا الجزء المقتطع من قلب العرب إذ يصبح ممقوتاً » .

ونهضت سوريا لتأييد أختها ، واستنكرت بكل قواها تقسيمها واستعدت للدفاع بكل قواها ولأول مرة فى تاريخ الحجاز قامت مظاهرات احتجاجا على التقسيم واستنكارا له ، ومصر بأجمعها شاركت فلسطين فى شعورها ومطالبها واحتجت على تجزئة الأرض المقدسة وتمزيق ربوعها وعقدت لجنة الدفاع عن فلسطين فى مصر اجتماعا مساء ١٠ يوليو سنة ١٩٣٧ فى جمعية الشبان المسلمين وأصدرت هذا البيان :

لما كان تقرير اللجنة الملكية يشير بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق جعل إحداها خاضعا للانتداب البريطانى الأبدى بشرط أن تتحول هذه

المنطقة ، بعد زمن إلى اليهود ، وتبسط سلطانهم على الأماكن المقدسة عند المسلمين والنصارى .

وجعل المنطقة الأخرى تؤلف دولة يهودية تشمل أغلب الساحل الفلسطيني وتمتد إلى أخصب بقاع هذه البلاد التي بقيت في أيدي المسلمين منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم وأغلبية سكانها الساحقة من العرب .

ولما كان من طبيعة هذا التقسيم أن يخلق دولة يهودية تتألف ممن لفظتهم دار الغرب ، وهم مختلفون في عاداتهم ولغاتهم ويدينون بآراء متطرفة يتوفر فيها الخطر الاجتماعي على أهل فلسطين والأقطار العربية المجاورة لها .

ولما كان قيام هذه الدولة اليهودية بجوار مصر يعتبر خطرا يهدد سلامتها كما يهدد سائر الأقطار العربية الشقيقة قررت اللجنة :

اعتبار مسألة فلسطين مسألة إسلامية خطيرة يفرض الدفاع عنها على كل مسلم لوجود المسجد الأقصى ولأن فلسطين مفتاح البلاد العربية » .

واجتمع مؤتمر عربي في بلودان (بجوار دمشق) في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وخطب رئيسه ناجي باشا السويدي (من العراق) فقال :

أعتقد أن اجتماعنا هذا ليس لسبك الدلائل على حق العرب في فلسطين فهذا مسلم به .

لقد طرأت على السياسة الدولية تطورات مادية بعد الحرب جعلتها مادية أكثر منها معنوية وجعلتها تمنع الحق عن أمة ليس لها قوة وتجعلها نهبا لأمة قوية .

فإذا أراد العرب أن يسمعوا العالم ما للعرب من حق في فلسطين

فيجب أن تكون لدينا قوة ندافع بها عن فلسطين » ، وألفت لجان ووضعت قرارات سياسية ومالية ودفاعية .

وأرادت انجلترا أن تلبس مشروع التقسيم ثوبا دوليا زائفا فأرسلت تقرير اللجنة إلى عصبة الأمم التى هى كالشبح تحركها يد انجلترا ، وسرعان ما خفت الدول العربية إلى جنيف للدفاع عن قضية فلسطين وهم يحسبون أن العصبة شىء فإذا بها كالسراب أو الظل وإذا بالإصبع الإنجليزية تحرك هذه العصبة فتوافق على تقرير هذه اللجنة ، فعليها اللعنة ، ولكن الجهاد العربى العظيم ، هو الذى ألغى مشروع هذا التقسيم .

الثورة والحرب العالمية الثانية

أدرك العرب ما يبيت لهم فى الخفاء ، وأن الاستعمار داء والثورة هى الدواء وأن الصهيونه وباء ، خلقته الأعداء ، فحملوا سيوفهم البتراء ، وشنوا الغارات على اللصوص النزلاء ، وأعطوهم درسا بأن العربى ذو كرامة وإباء ، لا يذل ولا تلعب به السياسة الخرقاء ، فهاج الأسد البريطانى ، على الشعب الأبى ، ومن ورائه الصهيونى ، بالمسكنة والخزى ، واقتحموا الأماكن المقدسة ، بسيوفهم الملوثة ، وكم من بيت عربى خربوه ومن طفل صغير يتموه . ومن ظلم فى غير بلادهم ارتكبوه ، ولكن العروبة تغلبت على الأسد وأهانوه وداست الشيطان الصهيونى وقيدوه فلم يجد الأسد غير المدافع الرشاشة يصوبها ، والقنابل من الجو يقذفها ، وهو يظن أنه سيأكل الثائرين ، ولكنه رجع بخفى حنين ، فقد اندلع لهيب الثورة المباركة ، وأقبل إليهم من إخوانهم أسود فاتكة ،

وكانت وراءهم أفئدة المسلمين متحركة ، وكنت ترى نساء الفلسطينيين وشيوخهم بقلوب واثقة ، يبذلون الدماء والمهج بأرواح صادقة ، وكان فوزى القاوجى البطل المسلم ، يقود كتائب الإسلام وينظم ، والمال يفيض من كل مثر ومعدم والأرواح تستشهد وإلى الفردوس تتقدم .

فطوبى لمن جاهد فى سبيل الله ، وطوبى لمن هزم الأسد الفاتح فاه ، وداس على التنين الصهيونى ومن حاباه .

وإزاء ثبات عرب فلسطين فى نضالهم ، رأت بريطانيا العدول عن التقسيم برغمهم ، وأرسلت إلى فلسطين لجنة من جديد سنة ١٩٣٧ ، هى لجنة وودهيد ، لبحث ما إذا كان مشروع التقسيم ممكن التنفيذ ، وأنت أدرى بسياسة الانجليز .

وبعد أن مكثت هذه اللجنة فى فلسطين مدة غير قصيرة تبحث وتمحص وتجول فى أنحاء البلاد المقدسة ، فاحصة منقبة وتستمع إلى آراء رجال الاستعمار الإنجليزى ، والصهيونية ذات الجشع الغريزى ، كانت نتيجة هذا البحث الاقتناع بفشل مشروع التقسيم ، فأوصت بالعدول عنه ليس حفظاً لحق العرب واتباعا للعدل والإنصاف فى معاملاتهم ، وإنما لأن مشروع التقسيم يتعذر تنفيذه لعدة عوامل سياسية واقتصادية وأعلنت رسمياً فى الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩ أنه مشروع غير عملى . ولذا فهى قد رأت لزاما عليها أن تستنبط بدلا من التقسيم سياسة أخرى من شأنها أن تفى بما تطلبه الحال فى فلسطين .

وهكذا قد طوى مشروع التقسيم وأسدل عليه الستار ، أمام هؤلاء الجنود المجاهدون الثوار ، وقيدت الهجرة ووعد فيه بقيام دولة عربية

مستقلة بعد عشرة أعوام ، وقد رفض العرب الاعتراف بهذا الحل لأنهم يرونه مجحفاً بحقوقهم ومخيباً لآمالهم ، ولكنهم وقد رأوا بريطانيا فى أحرج موقف فى تاريخها كانوا أنبل من أن يثوروا عليها وهى فى صراع الحياة والموت أمام حرب هتلر الذى صب عليها العذاب بالسوط.

ولما تكهرب الجو العالمى ، حاولوا اعتقال المفتى ، السيد أمين الحسينى ، فالتجأ الزعيم الأكبر الإسلامى إلى جامع عمرو بالقدس ، غير أنه ما كاد يقف على نيات البريطانيين باقتحام المكان المقدس ، بيت الله العلى الأقدس ، حتى غادر سماحته المسجد خوفا على حرمة هذا المكان ، والتجأ إلى القطر الشقيق لبنان ، وما إن نشبت الحرب حتى ألح البريطانيون على الفرنسيين بتسليمه ، فقرر أيضا المفتى السفر إلى العراق ، ومنه ذهب إلى إيران وحاول أن يبارحها إلى تركيا غير أن هذا الباب أغلق فى وجهه ، ولم يبق أمامه بعد ذلك أى أرض إسلامية وعربية يقصد إليها فاضطر إلى دخول الأراضى الأوربية التى يسيطر عليها الألمان ، وما التجأ إلى ألمانيا فى خلال الحرب إلا لأنه كان أمام أحد أمرين الاعتقال أو النفى ، ولم ينس وطنه بل ظل يذيع عليهم ماينفخ فيهم روح الوطنية الصادقة والدفاع عن الوطن المقدس.

ولم يكن موقفه تجاه بريطانيا أو أى دولة أخرى إلا متوقفا على سياستها تجاه فلسطين بصفة خاصة والعالم الإسلامى بصفة عامة ، وقد وصفوا سماحته بأنه عدو بريطانيا اللدود فى الشرق الأوسط ، والحق أنه لا يضمر عداوة لأى جنس أو شعب وإنما ما كادت تمضى فترة وجيزة على احتلال بريطانيا لفلسطين سنة ١٩١٧ حتى اضطر عرب فلسطين

إلى الاشتباك فى منازعات مع بريطانيا والمسئول عن ذلك هم البريطانيون بسياستهم القائمة على وعد بلفور الذى يرمى إلى استيلاء الصهيونيون على أرضهم وتحويلها إلى دولة يهودية .

ولا ريب أن موقفهم من هذه المنازعات ، هو موقف أصحاب الحق والدعوى ، حتى اضطروا أن يتخذوا موقفا طبيعياً للدفاع عن النفس الأمر الذى يدفع أى أمة أخرى تتعرض أراضيها للخطر وحريتها للفناء إلى اتخاذ الموقف نفسه .

وفى إبان الحرب التزم العرب السكينة أمام انجلترا وساعدوها بكل ما استطاعوا ونسوا مابينها وبينهم وانجلترا تذيع وتؤكد بأنها تحارب من أجل الشعوب المظلومة وتعد بأنها ستصحح أخطاءها فيأخذ كل شعب حقه فى الحرية والحياة . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ، وتعيد انجلترا إسطوانة الحرب الأولى ، وانجلترا هى هى فى أسلوبها السياسى .

ولما تعهد العرب بوقف الثورة بروا بعهدهم ، وتركوا لليهود الاستغلال الدنىء بالدس والكيد فى الظلام وتنظيم الجماعات الإرهابية وتدبير الألاعيب السياسية ، وتحت ستار الحرب كانت لهم تشكيلات عسكرية ، واستحوذوا على معامل أسلحة وقنابل يدوية ، ثم قاموا بتعبئة هائلة اقتصادية فى السوق السوداء لامتصاص الدماء البشرية ، وجاءتهم هذه الحرب بأرباح الملايين ليستغلوها بزعمهم فى امتلاك فلسطين ، كذبوا والله فإنهم سيخرجون منها مشتتين ، ولن تقوم لهم قائمة بعدها إلى يوم الدين .

وتراهم قد شكلوا تشكيلات سياسية دبلوماسية ، فى سبيل التأثير على

الرأى العام فى البلاد الديمقراطية ، يستغلون المال معبودهم فى الحركات الانتخابية ، كما فعلوا بالولايات المتحدة الإمريكية ، وشهروا أقوى سلاح من الدعاية الوهمية ، وأنشأوا الجمعيات وضللوا الصحافة العالمية ، فحتى يقوم العرب بتفنيد أضاليلهم ، ويطلعون العالم على أباطيلهم أرسل يهودى أمريكى كبير وهو مستر سولز بركر صاحب جريدة النيويورك تيمس إلى الدكتور سلفر أحد أقطاب الصهيونية فى أمريكا : «. . . كل ما أطلبه هو حق التكلم عما يجرى فى فكرى بدون أن ينصب على وابل من التلفيقات الموجهة ضدى فهذا هو ما حصل بالفعل » . ومما هو جدير بالذكر أن النتيجة كانت أن تحولت من رجل حيادى تجاه الصهيونية إلى رجل مضاد لها . وأعتقد أساسا أنه لمن الحكم السقيم أن تعهد مسؤلية تشكيل دولة إلى جماعة تعمد قلب الحقائق وتشويهها جماعة تعمل على تحطيم سجايا الأشخاص الذين يختلفون وإياهم فى الرأى ، أو تحطيم سمعة الصحف التى تنشر ماتريد الجماعة تعطيله ، فإنى أعارض أساليب جوبلز سواء كانت هذه الأساليب فى ألمانيا النازية أو فى غيرها[1] » وإن تعجب فعجب استغلال الصهيونية ، مأساة اليهود فى ألمانيا وشرق أوربا ، فى أغراضها ودعاياتها ، لتضل الرأى العام فى قضية فلسطين ، فهل حل مشكلة إنسانية ، لا يأتى إلا بهضم الشريان الرئوى للبلاد العربية ، وهل ينكل هتلر بالأمة اليهودية ، فتعطيهم الدول الكبرى فلسطين ، ترضية ؟ ، كأنهم يرضون شعبا على حساب أمة مضرية ، ولا عجب فإنهم يذيعون بنا أن العرب أمة همجية ، طردونا من أرضنا

(١) الخطر الصهيونى ص ٢٨ .

بوحشية ، ونحن أكثر منهم مدنية ، فهل تردوننا إلى بلادنا الأصلية
وهكذا يلعبون بالعقول الغربية ، البعيدة عن إدراك الحقيقة الواقعية ،
فمتى تكون لنا دعاية حقيقية فى الممالك الديمقراطية ؟ ألا تراهم يتخذون
من أفكار القوم عن الإسلام فى القرون الوسطى ، فيصوروننا بأننا
نعبد محمدا ونلعن المسيح والعذرا ، وهم الذين يعبدون المال ويقذفون
المسيح بالتهمة الكبرى ، وينظرون إلى النصارى جميعا كعباد أوثان ،
وينتظرون مسيحا من نسل سليمان ، كأن المسيح عيسى لم يرضهم ومسيحهم
أثقل فى الميزان ، ويقولون للأمريكان سنكون لكم المركز فى الشرق
الأوسط ، وللانجليز سنخفر لكم البحر الأبيض المتوسط ، وللروس
نحن سننشر الشيوعية ونبسط ، وهكذا نرى التنين الصهيونى أمام الجميع
يلغط ، وهو فى دعاياته الكاذبة كالعشواء يخبط ، ويبطن فى نفسه دولة
تبيد النصرانية وتذل الإسلام وتشطط ، ولم يعلموا أن العروبة حجر
مقدس كل من يطمع فيه يسقط ، ويقولون لعشاق المدنية، انظروا إلى
مستعمراتنا النموذجية ووازنوا بينها وبين أكواخ العرب البدوية ،
ولم يدروا أن العربى يفخر بحريته ولو على العراء ، فما فائدة قصر أخذ
من الوطن ويعطى للأعداء ، فالحرية الحرية والجلاء الجلاء ، وإلا فهنا
مقبرتكم يا أعداء السماء .

الإرهاب الصهيونى

ألم تذكر أن الإرهاب ، كان السبب فى تشتيت اليهود والخراب ،
بعد أن لوثوا الأرض المقدسة بالدماء والحراب ، وتساقطت القتلى فى

الهيكل والمحراب ،وكان الإرهاب فى القدس مبدأ كل الأحزاب ، فلماذا تعجب اليوم من هـذا الإرهاب ، وإذا عرفت أن اليهودى وحش إذا ملك ، عثا فى الأرض فساداً وبالناس فتـك ، وإن هو نفى من الأرض المقدسة ذل وسلك ، لأنه فيـا يظن أنه الشعب المختار وينظر إلى غيره نظرة بغض واحتقار ، ويتقرب إلى الله بزعمه بالقتل والدمار ، لأنه مأمور بقتل الوثنيين الأشرار ، وقد نسى أن غيره قد حمل راية التوحيد وأن النصرانية قد نسخت دين اليهود ، وأن الإسلام قد جمع بين القديم والجديد فلماذا يظل فى أنانية مثل الوليد ، ولـكن لا يأخذك العجب إن كتب عليه التشريد ، فإبليس قديماً كان طاوس ملائكة الرحمن ، فلما عصى طرد من الجنان وأصبح طريد الرحمن عدو الإنسان ، ونسى العبادة القديمة وسمى الشيطان ، وهكذا هذا الشعب تمرد على العصيان ، ولا يصلح فى أرض مقدسة كتب الله عليه فيها الحرمان ، وطرده منها شر طردة منذ عهد الرومان ، فقل لانجلترا لماذا تقاومين إرادة الديان وتخالفين التوراة والإنجيل والقرآن ، وتجمعين شعباً كتب عليه الجولان ، لأنه لايصلح لملك فى أى مكان ، فانظرى الآن يا انجلترا إلى هذا الإرهاب ، وخذى كأساً مليئة بهذا الشراب ، وانظرى كم قتلوا نفوساً بريئة بغير حساب ، وكم نسفوا وكم غدروا بشباب ، واسألى دولة الرومان عنهم فهى أدرى بالأسباب ، ألم تنصريهم على العرب أهل البلاد وتجمعيهم ظلماً فى أرض سموها أرض الميعاد ، وما هى بأرضهم منذ عهد الأجداد ، فقلبوا يا انجلترا ظهر المجن ، كما كانوا مع من ناصرهم طول الزمن ، فكم عصوا الله بالفتن ، وعبدوا العجل والوثن ، بعد أن ميزهم بمنن ، فكان جزاؤهم

الطرد من الوطن ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة والوهن ، ولا تحسبينهم جميعاً يابنت التاميز ، فقلب كل واحد منهم فى إفريز يطلب الرياسة وأن يكون من نسله المسيح العزيز ، وهم يحسبونك أنك لهم دهليز ، ولهم فى الدجال حلم لذيذ ، فهل ترضيهم على حساب عيسى كلمة الله ، وتحولين الأرض المقدسة إلى مأساة ، لم يرو لها التاريخ أى مثال وأشباه ، وتأتين بالتنين الفاتح فاه ، ليكون مثلا للإباحية والإرهاب والمعاداة ، حباً فى تثبيت قدمك على ضفة القناة ، ألأجل أنهم دلسوا على الولايات المتحدة ، وأنت على حفظ صداقتها مجدة ، تحولين الأرض المقدسة إلى نار متقدة ، وأمم الاسلام لسياستك منتقدة ، وغداً تحل للمسيحيين العقدة ، وتقع حرب مقدسة فيها فناء وشدة ، وتطهر الأرض من أدران الصهيونية والإرهابيين ، وتصبح فلسطين للفلسطينيين والأماكن المقدسة فى حرز أمين ، يحميها العرب الوطنيون ألم تر إلى فلسطين اليوم وقد تحولت إلى مذبحة بشرية ، وتسمع كل يوم غارات إرهابية ، وأصبحت الأرض المقدسة فى ظل رعب وهمجية ، وتكاد تشبه ساحة معركة حربية ، تملأ أرضها الدبابات والمدفعية ، وفيها ما فيها من القنابل اليدوية ، وهنالك تسمع عن ثلاث جمعيات إرهابية ، فجماعة هاجانا ذات الآلاف العددية ، وجماعة أرجون زفاى لومى ذات التشكيلات العسكرية ، وجماعة شتيرن ذات الغارات الوحشية ، حتى أرهقوا أعصاب الأمة الانجليزية ، وهل تسكت الأمة العربية ، فلا تحمى نفسها بجيوش فدائية ، وقد تسرب الإرهاب إلى الأقطار المجاورة ، وما قتل اللورد موين إلا بنذير مجزرة ، فيأيها العالم الاسلامى والمسيحى حول هذا الارهاب للصهيونيين مدبرة ،

كما فعل الرومان والعرب والسريان بجمعيات الإرهاب المناظرة ، فما هذا الإرهاب إلا علامة على تشتيتهم من القدس والخليل والناصرة ، والتاريخ شاهد عدل على الإرهابية الفاجرة ، فيأيها الصهيونيون هذه كرة خاسرة

روت روتر أن الحكومة الفلسطينية وجهت إلى الوكالة اليهودية في ٣ فبراير سنة ١٩٤٧ « إن الحكومة حذرت مراراً زعماء الطائفة اليهودية من وقت طويل من أخطار نمو حركة الإرهاب والعواقب الوخيمة التي ستجرها في نهاية الأمر على الشعب اليهودي نفسه » .

وانجلترا لم تستخدم ضد أساليب الإرهاب الصهيوني شيئاً من الأساليب العنيفة التي استخدمتها في قمع ثورة العرب في فلسطين ، حين دكوا عدداً من القرى العربية دكا سووها بالأرض ، وأعدموا كثيرين من العرب في ظل الأحكام العرفية وحالة الطوارئ أيام الحرب الأخيرة لمحض تهمة حمل السلاح ، بل لقد أعدموا أعرابياً كان يملك سكينتين قيل إنهما استخدما في قطع الأسلاك التليفونية ، في حين أنهم وقفوا أمام الإرهاب الصهيوني مبهوتين حتى دخل الإرهاب في بلاد السكسونيين ، ولكن ليعلم العالم أنه لن يكسر شوكة الإرهابيين ، غير شبيبة المسلمين . « وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

التاريخ يعيد نفسه

ظهر الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ ، واعتبرته انجلترا كقرار نهائى لحل قضية فلسطين ووافق عليه مجلس العموم البريطانى ، وفيه تحريم الهجرة إلى فلسطين بعد سنة ١٩٤٤ ، ووعد هذا الكتاب باقامة دولة عربية مستقلة سنة ١٩٥٠م وهكذا لم تفهم انجلترا لغة المطالب والشكايات وانما خضعت لاتحاد العرب والجماعات ، وذعرت من هذه الثورات ، وفهمت أن الحق تحيط به قوات ، وقد رفض العرب الاعتراف بهذا الحل لأنهم يريدون الاستقلال توا ، ووقف الهجرة فورا ، ولكنهم رأوا أن انجلترا على شفا جرف ، والحرب معلنة عليها من كل طرف فأبى العرب إلا أن يقفوا بجانبها وقفة الشرف ، متحدين معا فى الغاية والهدف ، وقد كممت انجلترا الأفواه والصحف ، ونادت بأنها تحارب من أجل الشعوب الضعيفة ، وأنها بعد الحرب ستسلك السبل الشريفة وبأسلوب لبق ودعايات لطيفة ، أعلنت شروط الأطلنطى المشهورة ، وقامت العروبة لها بأعمال مشكورة وبسببها خرجت ألمانيا من الحرب مقهورة ، وفرحت انجلترا بالنصر بعد أن كانت مذعورة ، وهلل العرب جميعا وكبروا أى تكبيرة ، وحسبوا أن استقلالهم أصبح قاب قوسين ، سيرد إليهم بالدولتين الديمقراطيتين ، فإذا بالاسطوانة تدار على الوجهين وإذا بالسياسة بعد كل حرب تعاد كرتين ، وهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟

أما الصهيونيون فى هذه الحرب فقد استغلوها ، وتظاهروا للحلفاء

بالمساعدة فيها ، وأنشأوا اللواء اليهودي تمويها ، وباسمه نظموا الجماعات الإرهابية واستوردوا السلاح ، كما احتكروا السوق السوداء وأزهقوا الأرواح ، واتخذوا المال لأغراضهم الدنية كالمفتاح ، ولعبوا فى أمريكا على الحبلين ، ليفوزوا بمناصرة الحزبين .

« وأخيراً ينكشف ضمير الولايات المتحدة الذى تعلقت به أنظار كثيرة فى الشرق ، وحسبته شيئاً آخر غير الضمير الإنجليزى والضمير الفرنسى ، ولقد كان الكثيرون مخدوعين فى هذا الضمير ، لأن الشرق لم يحتك طويلا بأمريكا ، فلما بدا الاحتكاك فى مسألة فلسطين تكشف هذا الخداع عن ذلك الضمير المدخول الذى يقامر بمصائر الشعوب وبحقوق بنى الإنسان ليشترى بضعة أصوات فى الانتخاب — إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد هو تلك الحضارة المادية التى لا قلب لها ولا ضمير ، تلك الحضارة التى لا تسمع إلا صوت الآلات ولا تتحدث إلا بلسان التجارة ، ولا تنظر إلا بعين المرائى والتى تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس .

والآن أيها الشرق ماذا تريد ؟ فإن كنت تبغى الخلاص من براثن الوحش الغربى ، فهناك طريق واحد لا تتشعب فيه المسالك فهو أقرب طريق : اعرف نفسك وراجع قواك واستعد للصراع وابدأ فى الكفاح ولا تستمع إلى صوت خادع يوسوس لك بالثقة فى ضمير الغرب المدخول .

إنها الفرصة السانحة أيها الشرق للخلاص ، وانفض عنك رجال الماضى الضعفاء المنهوكين ، وابرز بنفسك للميدان فقضايا الشعوب فى هذه الأيام لابد أن تعالجها الشعوب ، وما قضية فلسطين إلا قضية كل

شعب عربى بل كل شعب شرقى ، إنها الصراع بين الشرق الناهض ، والغرب المتوحش ، وبين شريعة الله للانسان ، وشريعة الغاب للوحوش[١] » .

ألا ترى أن انجلترا بعد انتصارها ، وقد رأت الإرهاب الصهيونى جاثماً لها ، وأمريكا تظهر للصهيونيين تعضيدها ، وأمام الإرهاب ومجاملة الإمريكان ، رأت أن تنقض الكتاب الأبيض مع اعتقادها أنه أفضل حل كان ، ولكن كيف تنقضه أليس بمؤتمرات ولجان ؟ ! ! وكان الكتاب الأبيض ينص على وقف الهجرة سنة ١٩٤٥ ، فكيف تصرح بهجرة جديدة للصهيونيين ؟ لم تجد أمامها غير تأليف لجنة جديدة من الإنجليز والأمريكيين ، لتوحى إليها بما تريده فى فلسطين ، وهكذا تترجرج السياسة البريطانية كل حين ، وتخيب آمال العرب المجاهدين ، وتضيع كل جهودهم منذ ربع قرن بجرة قلم وسياسة المَيْن ، وتربط فلسطين بالمشكلة اليهودية العالمية ، وتريد أن تتخذها ملجأ للمشردين منهم فى الأراضى الأوربية ، وهكذا تبرهن دائماً على أن الكلام للقوى الحربية وأن هناك مساومات بين انجلترا وأمريكا على حساب الأرض الفلسطينية ، وما هذه اللجان إلا قشرة يغلفون بها مرارة الواقع فى البلاد العربية كما يفعل بحبوب الكنين ، صانعو الأدوية ، وسأترك المستر بيفن وزير الخارجية يتحدث فى مجلس العموم : « إن سير الحوادث دفع الحكومة البريطانية إلى أن تقرر إحالة مسألة فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة . ومشكلة

---

(٢) ص ١١٥٧ الرسالة العدد ٦٩٤ للأديب الكبير الأستاذ سيد قطب صاحب مجلة العالم العربى .

فلسطين مشكلة معقدة للغاية ، وليس هناك من ينكر أن الانتداب يحوى وعوداً متناقضة ففى أول الأمر وعد اليهود بوطن قومى ، ثم أعلن بأن الواجب يقضى بحماية حقوق العرب ومركزهم فى البلاد .

ولهذا كان الانتداب ينص على ما يعد من الوجهة الفعلية غزواً لفلسطين بواسطة آلاف من المهاجرين ، ولكنه فى الوقت نفسه نص على أن الواجب يقضى بألا تحدث هذه الهجرة أى اضطراب للشعب الذى يمتلك أرض فلسطين .

لذلك نشأ سؤال هام وهو : هل يمكن أن ينفذ الانتداب بدون تصادم ؟ ، ورداً على هذا السؤال أقول : إن الحوادث التى وقعت فى الخمس والعشرين سنة الماضية أثبتت أنه أمر غير مستطاع إن كل ما أريده هو تسوية هذه المشكلة لأنها من المشاكل القليلة فى الشرق الأوسط التى قد يؤدى عدم حلها إلى خلق اضطرابات واسعة النطاق... تدفعنا إلى الطريق الذى قد يؤدى بنا إلى خوض غمار حرب أخرى فى مدة لا تتجاوز ربع قرن .

ولهذا واصلنا محاولاتنا ، ولم يكن أملنا كبيراً ، وكان بين الاقتراحات أن كل ما يتطلبه حل المشكلة هو استبعاد الكتاب الأبيض واعتباره كأن لم يكن ، ولكن مثل هذا الاقتراح يثير مسألة خطيرة فى المسائل الدولية ، إن الدول العربية اعتبرت هذا الكتاب تعهداً من البرلمان البريطانى أخذنا على عاتقنا تنفيذه ، وإننا لو كنا منحنا اليهود تعهداً مماثلا لقال الأعضاء إن المجلس اتخذ قراراً بأغلبية الأصوات ولهذا لا يمكن إلغاؤه

وقد أصبحت المسألة الآن مسألة تنفيذ كلمة سبق أن قطعتموها على أنفسكم ، ولهذا السبب قلت لمندوبي العرب إنه لابد من المفاوضة ، لإحداث تغيير فى الحالة الراهنة فى فلسطين ! ! ! وسوف أواصل العمل بهذه السياسة [١] » .

أرأيت أن الغرض الأساسى من تأليف لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ كان لمحو الكتاب الأبيض الذى يحرم الهجرة فى هذا الحين ، ولتعود من جديد إلى فكرة مشروع تقسيم فلسطين ، بعد أن قبر هذا المشروع الظالم بضع سنين ، وبعد أن أخذ العرب منه باليمين وقطعوا منه الوتين ولم يكن أحد منكم عنه حاجزين .

ولكن لا تعجب بعد الحرب إن أرادت انجلترا أن تخلقه من جديد فهو مشروع قدمه اليهود ، وبه تثبت انجلترا أقدامها على الحدود ، وهذا ما تضمنه مشروع المستر موريسون زعيم مجلس العموم البريطانى وقدمه للمجلس فى ٣١ يوليو سنة ١٩٤٦ وأرادت انجلترا أن تلعب لعبة جديدة فدعت العرب واليهود إلى مؤتمر لندن فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ ، ولبى العرب الطلب بعد أن قرروا الاستقلال لفلسطين الشقيقة ، ورفض مشروع التقسيم على أى طريقة وتأجل المؤتمر إلى يناير سنة ١٩٤٧ ، وكانت نتيجته الفشل المبين لأن العرب أصحاب فلسطين ومن ورائهم سائر الشعوب الإسلامية لا يرتضون تقسيم بلادهم وسيبذلون آخر قطرة من دمائهم ليحولوا دون تمزيق البلاد المقدسة وإقامة دولة يهودية بأى جزء منها .

---

(١) المصرى فى ٢٦ / ٢ / ٤٧ نقلا عن روتر .

وبعد فقد رأت انجلترا عرض مشكلة فلسطين على هيئة الأمم المتحدة لعلها تظفر منها بتوصية جديدة أو تتوارى خلفها وترسم الخطة لها لتقسم فلسطين أو لتبتلعها ، وانتهز العرب الفرصة فى إبريل سنة ١٩٤٧ وذهبو إلى هيئة الأمم المتحدة وهم يحسبونها قد ألفت للعدالة والحرية ، ذهبوا إلى أمريكا فى الدورة غير العادية لهيئة الأمم ، وإذا بالأفعى قد نفخت سمومها وقامت الصحافة بدعاية مغرضة لها ، ومالأتها الدول تخلصاً من شرها أو تقرباً إلى ذهبها ، وطالبت الوفود العربية هيئة الأمم أن تطبق نصوص ميثاقها فتعطى لفلسطين حريتها واستقلالها ولكن الهيئة ، وما هى إلا العصبة البائدة ، قررت لجنة تحقيق جديدة وجعلت لها من البرامج ما يحقق لليهود رغباتهم ويضمن للاستعمار تثبيت قدميه فى الأرض المقدسة ، وتذهب لجنة التحقيق الدولية إلى فلسطين فى ١٦ يونيو سنة ١٩٤٧ فيقاطعها عرب فلسطين ، لأن قضيتهم لا تحتاج إلى درس وتحقيق ، وقد أتخمت بتسع عشرة لجنة وقد تعلموا أن كل تحقيق فى القضية معناه التسويف والمراوغة والآن وبعد أن ينتهى الفصل من هذه الرواية التمثيلية من تقرير اللجنة ، وانعقاد هيئة الأمم فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، فسيشهد العالم كفاحنا ضد الغاصب وضد اليهود وسنلق بالصهيونية فى البحر يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج .

الصهيونية

فتنة المسيح الدجال

وما كان النبي (ص) يأمر فى كل صلاة بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال ، إلا ليوقظ العالم الإسلامى بالغدو والآصال ويوجب عليه الجهاد والقتال ، فى سبيل تطهير الأرض المقدسة من صهيونية الضلال .

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : إن المسيح الدجال هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه هو المسيح أى الملك الذى وعدوا به وهم ينتظرونه إلى اليوم ذلك أنى نظرت إلى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحا يعيد إليهم الملك والسلطان فى الأوض ويعتزون به .

فلما جاءهم المسيح يشيد منهم مملكة الأخلاق مكروا به وأرادوا قتله إذ هم قوم يؤلهون الثروة والمال ، وظلوا على حالهم ينتظرون مسيحا ماليا إلى اليوم .

وها هم من عشرات السنين جادين فى إيجاد وطن قومى لهم فى فلسطين وظاهرتهم الحكومة الإنجليزية وليس ببعيد ذلك اليوم الذى يقوم فيه رجل منهم يدعى أنه مسيحهم أى ملكهم الذى وعدوا به على لسان بعض أنبيائهم .

ويقيمونه ملكا فى بلاد فلسطين وحينئذ تقع الفتن ذلك أن اليهود لهم ماض أسود فى القتال بينهم وبين مخالفيهم لا يتحرجون من الاستئصال والتمثيل بأعدائهم تمثيلا تقشعر منه الأبدان[1] .

(١) ص ٤٣ قصص الأنبياء .

وإن مطامع الصهيونية أن تعمل على إحياء مملكة يهودية قاعدتها فلسطين ورمزها إعادة بناء هيكل سليمان الذى لم يبق من آثاره غير جدار واحد يسمونه المبكى وهو من جدران المسجد الأقصى المبارك.

فمن واجب كل عربى فى جميع الأقطار، أن يدرك ما يحيط به وبأمته من أخطار، وأن تذهب الشعوب المسلمة فى كل الأمصار، للقضاء على هذه الفتنة بالسيف البتار، أجل إن العالم الإسلامى يجابه فى فلسطين غزوا أدهى من الحروب الصليبية، فهذا أوان الشد أيتها الأمة المحمدية وهذا يوم الجهاد أعلنوه على رأس الصهيونية، قبل أن يستفحل الخطر على جميع الشعوب العربية والشرقية، ويقول نورمان الصهيونى: «لا حاجة لأن تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودها التاريخية، ففى إمكان المدنية اليهودية الامتداد على جميع البلاد التى وعدوا بها فى التوراة من البحر الأبيض المتوسط حتى الفرات ومن لبنان حتى نهر مصر هذه هى البلاد التى أعطيت للشعب المختار[1]»، وهم يعتمدون على آية فى سفر التكوين «لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر، إلى النهر العظيم الفرات».

والعرب سلالة إسماعيل بكر إبراهيم، ومن تنصر أو أسلم وظل فى فلسطين من بنى إسرائيل فقد استعرب، فهذا الوعد للعرب، والذى يسمع هذه الدعاية الرنانة العريضة، يخيل إليه أن يهود أوربا وأمريكا من نسل إبراهيم ولم يكونوا من أهل فلسطين، وكيف يحتفظون بأنسابهم طوال هذه القرون، هذه سخافات وأوهام وضلال مبين.

---

(١) كتاب فلسطين لليهود.

قال العلامة ابن خلدون : أكثر ما رسخ الوسواس فى ذلك لبنى إسرائيل ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكتب عليهم الجلاء فى الأرض وانفردوا بالاستعباد للكفر آلافا من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون هذا هارونى هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة [1] » .

على أن اليهود قد ضاعت أنسابهم منذ الأسر الأولى وبعد ظهور المسيح عيسى لم تجد فى كتب معتمدة نسباً ويقول إسرائيل ولفنسون « الواقع أن اليهود فى دورهم الثانى لم يكونوا يعرفون بأنسابهم بل عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والأقاليم التى جاءوا منها فكان يقال مثلا فلان الأورشليمى والآخر الحبرونى وهكذا [2] » .

ولا أذهب بك بعيداً فقد أثبت علماء الأجناس أن الصهيونيين وأكثرهم من يهود أوربا ليسوا من أهل فلسطين ولا يمتون إلى بنى إسرائيل بأدنى صلة وأن اليهود فى كل قطر يشبهون ذلك القطر ويمثلون فى العالم سلالات وأجناساً مختلفة .

قال الدكتور محمد عوض محمد الأستاذ بجامعة فؤاد الأول :

« من أجل ذلك اتفق علماء الأجناس على أن اليهود ينتمون إلى سلالات عديدة متنوعة وأن الدين اليهودى قد انتشر بين عدد عظيم من الشعوب ونحن ، فى العالم العربى ، نعلم أن الزعم بأن الدين اليهودى كان مقصوراً على بنى إسرائيل زعم ظاهر البطلان فقد انتشرت اليهودية فى

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٥ .

(٢) ص ١٥ تاريخ اليهود .

جهات مختلفة من الجزيرة العربية ، وانتشرت اليهودية فى بلاد اليمن .

ويقول بتار أستاذ علم الأجناس فى جامعة جنيفا « إن جميع اليهود بعيدون كل البعد عن الانتماء إلى الجنس اليهودى القديم » .

ويقول الأستاذ ريلى الأمريكى فى كتابه عن أجناس أوربا « إن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ، وصدق الأستاذ لمبروزو بأن اليهود الحديثين هم أدنى إلى الجنس الآرى منهم إلى الجنس السامى .

وهكذا يكون العلم قد فند الدعاية الصهيونية وقوض أركانها إذ أثبت أن يهود أوربا من أصل أوربى صميم وأن القول بأن اليهود شعب لا وطن له حديث خرافة ، لأن اليهود ينتمون إلى شعوب كثيرة ولهم أوطان عديدة ، وليست الحركة الصهيونية ، والحال هذه سوى حركة يراد بها استعمار قطر عربى بوساطة جماعات من السلاف والجرمان ، لا يمتون ، لاهم ولا أجدادهم ، إلى فلسطين بأدنى صلة ، وهى حركة تمثل أفظع أنواع الاستعمار ، لأنها لا ترمى إلى مجرد الحكم والسيطرة السياسية ، بل إلى احتلال البلاد بوساطة المهاجرين الغرباء ، وتمكينهم من رقاب سكانها الشرعيين ، ومثل هذا الظلم الشنيع ليس له نظير فى الميدان الاستعمارى كله على كثرة ما به من الفظائع[1] » .

زد على هذا أن هذه الشرذمة الصهيونية تحاول إنشاء دولة يهودية لها ملك رئيس توطئة للمسيح الملك كأن المسيح لم يظهر ، وكأن العالم المسيحى المنتشر فى المعمورة على دين مسيح كذاب وحاشا . فالمسيح الذى ينتظرونه هو الكاذب الدجال .

(١) هلال يوليو سنة ٤٧ ص ٢٩ .

وماذا يا ترى يفعلون بالأراضى المقدسة ، وفيها المسجد الأقصى الذى لا يسلم فيه المسلمون إلا إذا لم يبق فى الأرض مسلم واحد ، وفيها المقدسات المسيحية التى يحج إليها مسيحيو العالم ، ألا إن الحكومات المسيحية وهى لا دينية تموه على شعوبها ، ولكن غداً ينكشف الأمر إن ساعدوا التنين ، وقد قام العرب بحماية هذه المقدسات المسيحية طوال تاريخهم المجيد ، ممجدين لها لأنهم يؤمنون بالمسيح وينظرون إلى النصرانية نظرة الأخوة والمحبة ، وإن هدف الصهيونية الأول القضاء على المسيحية والمسيحيين ، وإليك نتفاً من برنامجهم فى كتابهم المنتشر أهداف الصهيونية :

« إن الحكم الإرهابى يأتى بنتائج أفضل وأفيد مما يأتيه الحكم المبنى على النقاش والجدل[١] » .

« فى وسعى أن أزف إليكم بشرى دنونا من الهدف المنشود ، فقليل من السير أيضاً ، وحلقة الأفعى الرمزية (شعار شعبنا) تقفل ويعنى إقفالها تطويق جميع الممالك الأوربية[٢] » .

« ولكيلا ندع فرصة للمسيحيين تنبه فيها أفكارهم يقتضى أن نشغلهم بالأعمال التجارية والصناعية ، فلا يلحظون تدبير عدوهم العام ، ويقتضى أيضاً لكى تقوى الحرية على تفكيك أوصال الهيئات المسيحية أن تتخذ المضاربات قاعدة للصناعة بحيث أن جميع الثروات تفر من حوزة أربابها إلى فوهة المضاربات فتبتلعها ، وما الفوهة إلا خزائننا[٣] » .

« والمسيحيون ليسوا إلا قطيعاً من النعاج ، ونحن فى نظرهم ذئاب ، ولا يخفاكم ماذا يحدث للحملان إذا ما دخلت الذئاب حظيرتها[٤] » .

(١) ص ١ . (٢) ص ٣ . (٣) ص ٢٤ . (٤) ص ٤٥ .

«وإن كنا تمكنا حتى الآن من التسلط على أفكار الهيئات المسيحية إلى حد أصبحت معه لا ترى الحوادث العالمية إلا من وراء المنظار الملون الذى نضعه على أعينها ، فما عساه يكون موقفنا عند ما نصبح أسياد العالم الشرعيين فى شخص مليكنا العالمى [١] ، لا ينبغى أن نعترف فى ظل عهدنا الجديد بوجود أى مذهب دينى خلاف دين إلهنا الواحد ، ولذلك يجب أن نهدم جميع المذاهب الدينية [٢] » .

« وعلى المليك (المسيح) الذى يحل محل الحكومات الحاضرة القائمة أن يعمل قبل كل شىء على إخماد اللهب الآكلة ، وذلك بإعدام أى مذنب ينتمى إلى إحدى الهيئات أو الجمعيات السرية الثورية ، وهذا الشخص المصطفى من لدن الله هو الذى تكل إليه العزة الإلهية سحق القوات الحمق» .

« أما وإن دور الخلاص يبدأ مذ تسنم المليك هذا العرش . فمن الضرورة محق هذه القوات ، وتنظيف الطريق أمامه من كافة العقبات [٣] .

فعلى عماد البشرية سيد المسكونة المنحدر من سلالة داود المقدسة أن يضحى فى سبيل شعبه جميع أهوائه الشخصية [٤] » .

هذه هى أفكارهم الحديثة عن المسيح الدجال ، لقد كانوا خطراً على أوربا ، فهل ينتقل الخطر إلى الأرض المقدسة ومنها إلى العالم ، إنها فتنة عالمية فليحذرها العالم أجمع ، وصلى الله على النبى الذى بينها لنا منذ أربعة عشر قرناً .

(١) ص ٥٨ . (٢) ص ٦٨ . (٣) ص ١١٥ . (٤) ص ١١٨ .

الجهاد المقدس

إن مشكلة فلسطين ، هى قضية جميع المسلمين ، وهى قضية الساعة التى تملأ رءوس المجاهدين ، وقد أجمع العالم العربى على أنها أولى قضاياه لأن كل قضية لها وقت ولكن هذا السيل المتدفق متى منتهاه — وكل يوم يمر تأتى هجرة صهيونية كالمياه — والزمن يا قوم لا يسمح بالتلكؤ فأعلنوها حرباً فى سبيل الله ، وإن حل هذه القضية ينحصر فى كلمتين : العمل المنظم بتضحية وبذل ، والجهاد ما استطعتم ولو إلى القتل ، فعليك أن تضع ، يابن الإسلام — أنف المغتصب فى الرغام ببذل ما تملك وحمل الحسام ، والاستقلال لن يمنحنا إياه الإنجليز والامريكان ، ولن تضفيه عليك المفاوضات والمؤتمرات واللجان ، والعالم الإسلامى ، يا أخى ، متحفز اليوم للصراع ، والشرق كله متأهب للدفاع ، وإن العرب يأبون إلا استرجاع أملاكهم المغصوبة باضبارها وإحراز حقوقهم المهضومة بحذافيرها وقد هجم التنين الصهيونى ينقص الأرض المقدسة من أطرافها ، كلا فالمسلم لن يرضى ذلا وهو يتلو فى كتابه ما يجعله بكل جارحة رجلا ولا يرضى بالاستقلال بدلا ، وينفخ فيه من روح الأنفة ما يصور الاستعباد كفراً ، ويلقى فى روعه من حب الحرية ما يجعل الخنوع وزراً ، ويحتم عليه من الأخذ بأسباب القوة ما يرفعه قدراً ، فلا المحلقات فى الجو تقدر على كم الأفواه ولا الإرهابات الصهيونية تقوى على إطفاء نور الله ، وأول شرط للسلام الدولى استقلال العرب بفلسطين العربية ، فلعل هيئة الأمم بلجنتها القائمة الآن

فى فلسطين لا تلبس الاعتداء حلة قانونية وتسوغ الاستعمار بتغيير الأسماء الشكلية وكيف يغطى الحق بسفسطة وهمية والحق أبلج، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ، فهل شرق الأردن ، يسمح لدولة يهودية بجواره تقطن وأين جيشه العربى المدرب ، وهل يرضى أمام الخطر الصهيونى أن يتغرب ؟ ! ! وهل يرضى أن يضحكوا منه فيعطوه قطعة من فلسطين ، ثم إياه بعد ذلك يبلعون ؟ ! !

وأنت يا لبنان ، يا ذات الأرز والجنان ، هل تجاهدين فى سبيل استقلالك ، ثم ترضين للصهيونية باستغلالك ، وأنت لك مجدك وجهادك ؟

وسوريا بنت العروبة ، أفلا ترى فيها شبيبة قد رأوا فى الجهاد عذوبة ، وفلسطين لهم حبيبة ، وبلاد الحجاز واليمن ، أترضى بفلسطين الفتن ، وهل يعيش العرب على وهن ، ذاك ما لا يعرفه الزمن وإن لم تحموا بنتكم فلسطين فمن ؟ ! !

وأنت يا مصر يا فخر العرب أتسكتين على شر قد اقترب ، والصهيونية استغلال وجرب فأى استقلال لك فيه عطب ، إن لم تكن فلسطين للعرب ، فاقطعى من الصهيونية الرأس والذنب ، وابذلى ابن النيل والزرع والذهب ففلسطين منك كالسودان والمصب .

وأنت يا بلاد العراق ، يا مهبط الحضارة العربية فى الآفاق ، كونى السابقة فى حلبة السباق واقطعى من الصهيونية العنق والساق ، وطهرى الأرض المقدسة بسيفك المهراق .

وأنت يا بلاد المغرب ، يا ذات العمل المجرب فى مناضلة المستعمر المخرب ، إلى الجهاد إلى الجهاد المقرب .

وأنت يا أندونوسيا ، أيداس المسجد الأقصى ، وفيك الأرض المقدسة الأمانى الكبرى !! .

وهل تسكت الباكستان ، على مسرى النبي العدنان ، لتحقق بريطانيا والأمريكان ، لصهيونية الطغيان وفكرة الدجال ، فههنا الجهاد يا إسلامستان وأنت يا إيران ويا تركية لم لا يهتم كل منكما بهذه القضية ؟ أليس هذا الخطر الصهيونى عليكما بلية ، وهل يحدث مع وجودكما أندلس ثانية ؟! .

وأنت أيها الشرق أليست فلسطين بوغاز طرقك ، وأن هزيمتها عار يلطخ وجهك ، ويهدم حاضرك ومستقبلك !! .

فإلى كل شيخ وشاب يجرى فى عروقه الدم الشرقى وإلى العنصر العربى الأبى ، وإلى من يمت إلى المسيح بإيمان روحى لا استعمارى ، نوجه هذا النداء الحار الذى تغلى به قلوبنا وتردده نفوسنا أن خذوا أهبتكم لمواجهة هذا الطغيان الجارف الذى حل بفلسطين المجاهدة ، وتنبهوا إن وراء الصهيونية قوة تحركها وتدفعها .

وفلسطين ، ستهتز من أجلها عروش ، وتتحرك لها جيوش ، وستسجل بمداد الفخر والعزة صفحة من صفحات مجد العروبة وكرامة العالم الإسلامى الشرقى وسيكون لها فى سمع التاريخ رنين قوى ، وفى السماء للشهداء مكان قدسى « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » .

فيا هيئة الأمم تنبهى لخطر قد ادلهم ، وبركان فيه نار وحمم ، ومصالح

لأممك فى الشرق ستكون كالعدم ، إن كان عن الحق وتقرير المصير
صمم يقول المستر كرميت روزفلت : « إن للعرب حقوقاً فى فلسطين
وإن برنامج الصهيونيين يهدد هذه الحقوق ، وإن العرب سوف يقاتلون
ويموتون فى سبيل حقوقهم .

إن مشكلة ، فلسطين المفجعة ، محجبة فى غلائل من الوعود المتناقضة
ومما يؤسف له أن الذين بذلوا هذه الوعود لم يكن لهم حق أدبى أو حق
مستمد من الواقع فى أن يبذلوها ولكى تفهم هذه المسألة على وجهها
فاجعل مثل البريطانيين والعرب ، مثل الأمريكيين وأهل الفلبيين
وافرض أن الولايات المتحدة قد تعهدت بأن تساعد أهل الفلبيين على
بلوغ الاستقلال الذاتى ، ثم انقلبت إلى شعب واقع تحت ظلم اليابان
كان منذ قرون كثيرة يسكن جزائر الفلبين وهو اليوم غريب عنها ،
ووعدته بأن تتيح له أن ينشىء دولة فى هذه الجزائر ، فأهل الفلبيين لن
يسلموا بحق الولايات المتحدة أن تقطع لذلك الشعب عهداً كهذا العهد
ويقاومون سعيها أشد مقاومة ولا ريب عندى أن الرأى العام الأمريكى
سوف يؤيدهم فيما يفعلون .

ومن أشق الأمور أن تجد رداً على قول العربى حين يقول :
« إنكم أيها الأمريكيون تتحدثون عن حماية حقوق الأقليات أفيعنى
هذا أن الأكثرية ينبغى أن تداس وأن تجعل أقلية برغمها وفى
عقر دارها !! .

وتتحدثون عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها وعن الانتخابات
الحرة وعن الديمقراطية ، فلم لا تدعون فلسطين تجرى انتخابات حرة
لتقرير مستقبلها على الطريقة الديمقراطية .

نعم إنه من العار أن تحنث بوعد قطعته ولكن أقبح منه أن تمضى مطبق العين فى تنفيذ وعد جائر وليس من العدل أن ترغم أكثر السكان فى بلد ما على أن تقبل هجرة واسعة النطاق إلى بلدها تترك الأكثرية فيها أقلية[١] » .

والله لو نطق قادة المسلمين فى سائر الأقطار الإسلامية بالكلمة الأخيرة لا نفجر بركان العالم الإسلامى وملأ الجو حمما وكأنى باللورد كرومر حينما يتنبأ لانجلترا بقوله : يجب أن تكون السياسة الاستعمارية قائمة على قواعد التبصر والحكمة ؛ صحيحة سليمة منزهة عن الشائبة والنقص هذا هو حجر الزاويه فى بناء الامبراطورية إن المبرر الأكبر للاستعمار يجب أن يظهر جليا فى حسن التصرف بما فى أيدى هذه الامبراطورية من القوى ، فإن استطعنا ذلك ، فكنا فيه من الحكماء ، وإن لم نستطعه فكنا فيه الجهلاء الأغبياء ، فقد استحقت الامبراطورية البريطانية الانهيار من عل ولسرعان ما تتناثر حلقاتها وتتبدد بعد الاجتماع[٢] » .

ومن أشد الدعايات الصهيونية تمويها ، زعمهم بأن الجامعة العربية خلقتها اليد الاستعمارية ، لأغراض شخصية ، فليست ذات قوى فعلية ولا تساوى الوكالة اليهودية ، وهكذا من سفسطتهم الدجلية ... ألا فليعلموا أن الجامعة العربية ، قائمة منذ الرسالة المحمدية وأن الأمة الإسلامية جسم واحد فى الكرة الأرضية ، فالجامعة العربية صورة لاتجاهاتنا القومية ، وما هى إلا رمز للاتحاد ومن خلفها الشعوب بالمرصاد ، شعوب أبية تنفر من الاستعباد فكيف تكون أداة للانقياد . ؟

---

(١) ص ٧٣ مختار يناير سنة ١٩٤٧ مختصرة من مجلة هاير .
(٢) ص ١١ حاضر العالم الإسلامى .

قال الأستاذ لوثروب مستودراد الأمريكى : مما لا ريب فيه أن الحرب العامة قد هاجت الجامعة العربية هياجاً شديداً وبعثت فيها قوة كبيرة وقد غمر الشعوب العربية المختلفة طوفان من الهياج والاضطراب وثارت تطلب الاستقلال متطلعة نحو إسقاط السيادة الأجنبية ومحوها محواً تاما وزد على ذلك أن الجامعة العربية مشتبكة النسيج بمبدأين عامين شاملين لا يختصان بعنصرية أو جنسية دون أخرى وهما مبدأ الجامعة الاسلامية ، وجامعة العصبيات الجنسية الإسلامية ، فوطن المسلم هو العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه والسبب فى ذلك أن من منازع الاسلام على الدوام صيانة الوحدة بين المسلمين الوحدة الدينية والجغرافية الإقليمية ، فجميع الأقطار والممالك والبلدان الاسلامية معروفة عند المسلمين بدار الاسلام ، يجب عليهم باعتبارهم أمة متحدة الذب عن سياجها والذياد عن حياضها وهذا هو السبب فى أننا نرى أنه كلما أصاب اعتداء أجنبى طرفا من العالم الاسلامى هاج الطرف الآخر واضطرب وقام وقعد على غير أن يكون هناك اشتراك فى المصلحة المادية يحمله على ذلك ، كأنما المعمور الاسلامى جسم واحد باعتلال عضو منه تتأثر سائر الأعضاء [1] .

فعلى الحكومات الجيوش المنظمة واليقظة لأسلوب السياسات ودفع أممها إلى الحياة والمصانع والمخترعات ، وفى الجامعة العربية لنا أمنيات وعلى رجالها تقع التبعات ، ومن ورائهم شعوب مجاهدة يقظة ، وعلى الهيئات والجمعيات تدريب التشكيلات ، وعلى الخطباء

---

(١) ص ١٥٤ ج ٢ حاضر العالم الإسلامى . ويريد بالحرب العامة الحرب العالمية الأولى .

والأئمة تهيئة روح الجماعات ، وعلى الجامعات والمدارس توجيه الناشئين والناشئات ، وعلى رجالات العرب ولو فى الحج تكوين المؤتمرات ، وعلى زعمائنا توضيح النهضات ، وعلى الأثرياء تأسيس الشركات وعلينا تنفيذ المقاطعات وتعبئة كل القوات وعلى مملكة الصحافة رفع الأصوات وعلى كتابنا توضيح الثقافات . . . فطوبى لمن جاهد حتى الممات فى سبيل الله ، فالجهاد بأشكاله هو العزة هو السعادة هو الحياة « إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز (٤٠) » .   (سورة الحج)

أيها العرب : يأبى الله إلا أن تكون فلسطين عربية ، ولن يستقر السلام العالمى إلا أن تظل مركزاً للعروبة ، قضاء لا محيص عنه من قبل الله لا من عصبة الأمم سابقاً ، ولا من هيئة الأمم اليوم ، نعم لو اجتمع العالم وقسموا فلسطين لينشئوا دولة يهودية فى قلب العالم العربى ، لرأيت سبعين مليوناً عربياً قد قاموا قومة رجل واحد يلقون بالتنين الصهيونى فى البحر ويطردون الوحش الاستعمارى إلى حيث لا رجعة ، لأن وطنهم العربى جسم واحد يأبون أن يبتر جزء منه فى أى بقعة كانت : فى المغرب ، فى السودان ، فى فلسطين . . .

فأرض العرب لأهلها العرب ! ! !

وهل تظن أن العالم الإسلامى ، يقف مكتوف الأيدى وأرضه المقدسة تؤخذ منه ، كلا فستجد الإسلام قد قام من أقصاه إلى أقصاه من أجل مسجده الأقصى ، وترى انجلترا تريد أن تثبت أقدامها فى الأرض المقدسة ، ومن أجل هذا تموه على العالم المسيحى بأنها ستظل رابضة فى القدس وحواليه لتحافظ على المقدسات ، وهى مغالطة أشنع من وعد بلفور ، فماذا تفعل أمام إرهاب آخر من التنين الصهيونى فى هذه البقعة المباركة افتراها خلقت إشكالا جديداً ، أم يا ترى تحاول تقسيما آخر ، أو تحول المقدسات إلى معسكر اضطراب وفتنة ؟ ! ! !

هذا وفى العالم المسيحى ، دول كبرى ذات مذاهب مسيحية متعددة فماذا لو قالت لها دولة أخرى نحن أولى بالمحافظة على المقدسات منك . فهل تنشب حرب يكون ضحيتها التراث المقدس ؟ ! ! !

فلن يستقر السلام العالمى إلا إذا ظلت الأرض المقدسة لأهلها العرب ، وكلمة الفصل لكم معشر العرب ، لأن الأرض المقدسة أرضكم ، ولأن وطنكم العربى وحدة لا تتجزأ ، وهذه المقدسات خلقتم للمحافظة عليها ، وهى أمانة فى عنقكم للعالم أجمع ، لن تبقى مزينة الدنيا إلا بأهلها العرب . هكذا قضى الله وهكذا حكم التاريخ .

والآن فهل لملوك الإسلام وأمراء العروبة وأثرياء الشرق العربى ، إلى أن يساهموا مساهمة عملية فى (بنك إنقاذ الأراضى) الذى أنشأته الجامعة العربية ، وهو سيدر عليهم الربح الطائل لأن الأرض المقدسة ذات ثمر طيب ، والله عنده حسن الثواب ، ولأن كل شبر يعطى

للصهيونيين هو جرح لا يندمل فى كيان الوطن العربى .

أيها المسلمون حافظوا على الأرض المقدسة كما تحافظون على صلواتكم التى أمركم النبى أن تختموها « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ[1] » .

والمسيح الدجال ، فكرة خيالية أساسها الوهم وعمادها الكذب لأنها قائمة على الدجل والتضليل فالمسيح عيسى قد ظهر كما تؤمنون أنتم وإخوانكم المسيحيون ، أما المسيح الذى تنتظره الصهيونية فوهم وباطل ينتظرون مسيحاً أى ملكا لدولة يهودية ، كلا فلن تقوم دولة ، لأنها لو قامت لكان معناها أن هذه الملايين من المسيحيين يتبعون من ليس مسيحاً عند الله ، وحاشا فالمسيح عيسى حق لا شك فيه ، ومسيح الصهيونية التى تنتظره فى شخص الدولة المزعومة ، باطل ودجل ، ولذلك سمى الدجال أى من غير دولة وعلى الباطل والوهم يقوم كالزبد يذهب جفاء .

ولكنها فتنة لكم أى اختبار لجهادكم وامتحان لاتحادكم وعلامة على إيمانكم بمطاردتها ، والاستعاذة التى يطلبها النبى منكم مجاهدتها ومقاطعتها ومحاربتها حتى يقضى عليها « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .

وإن رسول الله قد تنبأ لكم بالنصر وبإعادة مجدكم الأول بل بنهضة شاملة ودعوة عامة عالمية حتى ترفرف الراية الإسلامية على العالم أجمع « وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى

---

(١) البخارى .

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » (سورة النور)

أيها العرب إليكم خطاب حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر، والزعيم الإسلامى العظيم، المقيم اليوم فى مصر العربية وطنه الثانى بعد أن طاردته السياسة البريطانية هذه السنين الطويلة!

وهذا الخطاب أرسله سماحته من مصر إلى المؤتمر الذى عقده زعماء عرب فلسطين فى حيفا فى أوائل يوليو سنة ١٩٤٧ قال سماحته:

أيها الإخوان....

لئن حالت يد الاستعمار الظالمة، العاتية علينا، اللينة على أعدائنا، التى تحرم أبناء البلاد من الاقامة بربوعهم وديارهم وتطارد احرارهم كما فعلت ولا تزال منذ عشر سنين متوالية، بينما تفتح أبواب بلادنا على مصاريعها للغزاة المعتدين، والعتاة المجرمين من الغرباء الصهيونيين، تلك اليد الأثيمة التى أعانت الظالم على ظلمه فسلطه الله عليها كما جاء فى الحديث الشريف لا تلبث أن تحطمها يد الله العادل القهار، لأنه « ما من يد إلا يد الله فوقها — ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم » ولئن حالت هذه اليد وإلى حين، دون شهودى اجتماعكم هذا بشخصى، فثقوا أن روحى معكم وقلبى عندكم لا يشغلهما إلا ذكركم ولا يملؤهما إلا حبكم والعمل لما فيه خيركم وسعادتكم، وحريتكم واستقلالكم.

أيها الإخوان:

إن من لا أرض له لا وطن له، ومن لا وطن له لا كرامة له، وقد

عقدتم اجتماعكم المشهود هذا لتأتمروا بينكم بمعروف ولتنظروا فى اتخاذ الوسائل الموصلة إلى مكافحة هذا الخطر الوبيل الذى يهدد سلامة الأمة وكيان الوطن . وليس فيكم من لا يشعر بمبلغ الخطر الذى يحيق بالقضية الفلسطينية من استيلاء الأعداء على قسم من أرض الوطن . وأملى عظيم فى أنكم ستعالجون هذه المسألة بما هى جديرة به من عناية وبما أنتم خليقون به من صدق الوطنية وشريف الغاية وإنكم تشاطرونى العزم والتصميم على أن لا يتسرب بعد الآن شبر واحد من أرض الوطن إلى الأعداء ، بل ينبغى العمل على استرداد ما تسرب منها إلى الأعداء وإلا كانت الأمة بمجموعها مشتركة فى الإثم والجرم وحق عليها العذاب لأن مثل الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر مثل الذين يقترفونه (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) . (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

أما الأمر الثانى الذى تجتمعون من أجله وهو أيضاً عظيم الأهمية جداً . فهو مقاطعة البضائع والمتاجر الصهيونية وكل من يساعد الصهيونيين لأن فى ذلك تقوية لهم علينا بأموالنا ومساعدة لهم على غزوهم إيانا فى عقر دارنا وتهديدهم لكياننا واستقلالنا . وعلينا فى فى سبيل تنفيذ هذه الغاية أن نتقبل كل تضحية مهما كانت وأن نتحمل ونتقشف ونصبر فإن الترف أمر ممقوت ولا سيما فى مثل هذه المحنة الكبرى التى نحن مبتلون بها وعاملون على الخلاص منها .

وبعد أيها الإخوان !

إننا مصممون بكل ما فينا من قوة وعزيمة على الثبات إلى النهاية وعلى نيل النصر الحاسم فى هذا الكفاح التاريخى مهما كانت الظروف . ولو عرف أعداؤنا مبلغ تصميمنا وعزيمتنا واستعدادنا لتحمل أعظم التضحيات فى سبيل صيانة بلادنا ، لا نكفأوا من الآن راجعين على أعقابهم ، مقلعين عن محاولتهم الفاشلة الظالمة ، ولو فروا على أنفسهم وعلينا كثيراً من الويلات والنكبات . ولكن أعداءنا الذين يحدوهم الغرور ويدفعهم الطمع للاستخفاف بنا ، لن يلبثوا إلا قليلا حتى ينجلى لهم مبلغ ما هم عليه من غرور وما هم واقعون فيه من وهم ويوقنوا بأننا ندافع عن بلادنا أكثر مما دافع عنها آباؤنا فى مواقفهم التاريخية المشهورة وعندئذ لا تلبث هذه الظلمات والغياهب ان تنجاب عن سماء الوطن العزيز باندحار الصهيونية والاستعمار فان للباطل جولة ثم يضمحل ولله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

حى على الجهاد

أيها العرب : أزفت ساعة الجهاد فطوبى لمن بذل نفسه وماله ، وكل قرش تبذله — يا ابن العرب — فى إنقاذ أرضك المقدسة ستحصد اليوم ثمرته ، من عزة قومية ، إلى ربح مادى « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيا حَسَنَة وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَة » ، ثم فى الآخرة — يا أخى — ستكون « مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقين والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً » فلم لا تشترك فى بنك الأمة العربية اليوم فتنقذ المسجد الأقصى وتستثمر مالك ؟

وسأترك البطل المجاهد (سليم عبدالرحمن بك) مدير بنك الأمة العربية ، الذى لم يعد إلا قريباً من المنفى فى سبيل وطنه ، سأتركه يحدثك عن هذا المشروع العظيم :

« منذ أكثر من ثلاثين سنة وعرب فلسطين يكافحون الصهيونية بمختلف الأساليب والطرق ، لقد بذل العرب الأموال والضحايا من أجل حريتهم ، فما وهنت عزيمتهم يوما إلى أن أنجدتهم الأمم العربية وناصرتهم فأصبحت قضية فلسطين قضية العرب فى مختلف أمصارهم ، فاليهود الذين كانوا إلى سنوات مضت يهاجمون عرب فلسطين وحدهم ، هاهم اليوم يهاجمون خمسين مليونا من العرب ، لقد أرصدت الصهيونية أموالا ضخمة جداً للاستيلاء على الأراضى العربية ، ولكن العرب استعدوا لمواجهة الخطر وهاهم اليوم أقوى من أى يوم آخر يشد أزرهم إخوانهم فى مختلف الأقطار العربية .

وذلك بأن يشترى كل عربى وعربية دونما واحدا بواسطة صندوق الأمة من أراضى فلسطين على أن يدفع الشارى مبلغاً من المال إلى صندوق الأمة لقاء وصل رسمى من بنك الأمة الذى يشترى هذه الدونمات ويسجلها على أصحاب الأموال المشترين ويعطى لكل فرد سندا — ثم يدفع صندوق الأمة سنويا أجور وحاصلات هذه الأراضى لأصحابها ، فيكون مشترى الدونم أو الدونمات بواسطة صندوق الأمة قد ضمن ماله بامتلاكه أرضا فى فلسطين وريع هذه الأراضى ، وضمن له إيرادا سنويا ثابتا .

وقد وضع كتاب رسمى باسم دفتر إنقاذ فلسطين يسجل فيه أسماء جميع المشترين وقد وافق سماحة المفتى على هذا المشروع بشراء عشرة دونمات بواسطة صندوق الأمة ودفع ٢٠٠ جنيه كما أن عدداً من رجالات فلسطين اكْتَتَبَ فى المشروع . . . ولنا الثقة القوية بأن العرب فى مختلف أمصارهم سيشدون أزرنا بتوسيع حلقات هذا المشروع المفيد

فإذا نجح هذا المشروع تمكن العرب من مقاومة هذا التيار واحتفظو ببلادهم وبعروبتها وقضوا تماما على مطامع الصهيونيين وكل عربى يساهم فى شراء دونم أو أكثر يكون قد ساهم فعليا فى إنقاذ عروبة فلسطين ، هذا الجزء العزيز من الوطن العربى الكريم [١] » .

أيها العرب : لقد اقتحم الأجانب عرينكم وكونوا شركات لشراء أرضكم فى كل قطر وعادت عليهم بالربح الوفير ، فلماذا لا تتشجعون أنتم وتستثمرون أموالكم فى أرضكم المقدسة وهى فى محيطكم ؟ ! فهيا

(١) جريدة البلاغ يوم ١٩٤٧/٧/٢٤ .

إلى الربح والاستثمار « وتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » .

أيها العرب : إن فى تعاونكم واتحادكم قوة ترفعكم بين الأمم وتحفظ التوازن العالمى وتحولكم نوراً يشع على الإنسانية — وأنتم قلب العالم الإسلامى النابض — وكل عضو فيه يحس بإحساس أخيه « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً » والعالم الإسلامى وحدة لاتتجزأ ، ولن يسمح بعد اليوم أن ينقص طرف منه فلن يرضى أن ينفصل التوأمان : مصر عن السودان ، ولا أن ينتهك استقلال أندونسيا أو يحد من حرية الباكستان ، أو يظل المغرب العربى يتذوق الطغيان ، أو تغتصب الأرض المقدسة مسرى النبي العدنان ، بل إن أى جزء من العالم الإسلامى تلعب به سياسة الاستعمار أو تحاول أن تبتلعه فإن المسلمين فى أقطار الأرض سيأخذون على يديه حرصاً على وحدتهم ومحافظة عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المؤمنين كأهل سفينة اقتسموها بينهم فقال أحدهم : هذا ملكى أفعل به ما أشاء ، فإن تركوه يخرقه لغرق وغرقوا ، وإن أخذوا على يديه لنجا ونجوا » .

أيها العالم الإسلامى ، أيها العالم العربى :

اليوم — يوم البذل والكفاح وله مابعده ، فضع — يا أخى — لبنة فى بناء مجدك ، لتكتب لك العزة فى الدنيا ، ولتفرح فى السماء « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

فحى على الجهاد ، حى على الجهاد : « وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » . (سورة الحج)

المصـــادر

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ البخارى .

٣ ــ العهد القديم والعهد الجديد والتلمود .

٤ ــ تاريخ اليهود فى جزيرة العرب للدكتور إسرائيل ولفنسون .

٥ ــ تاريخ يوسيفوس اليهودى .

٦ ــ تاريخ العرب فى الجاهلية لجورجى زيدان .

٧ ــ مقدمة ابن خلدون .

٨ ــ الشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية فى فلسطين سنة ١٩٣٦ .

٩ ــ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة للأستاذ عبدالله عنان .

١٠ ــ حاضر العالم الإسلامى للأستاذ مستودارد الأمريكى .

١١ ــ أهداف الصهيونية .

١٢ ــ اليقظة القومية عند العرب للأستاذ محمد سعيد .

الفهرست

الموضـوع	صفحة

للمؤلف

كتاب خاتم النبيين مطبوع

وتحت الطبع

١ — تاريخ الأنبياء .

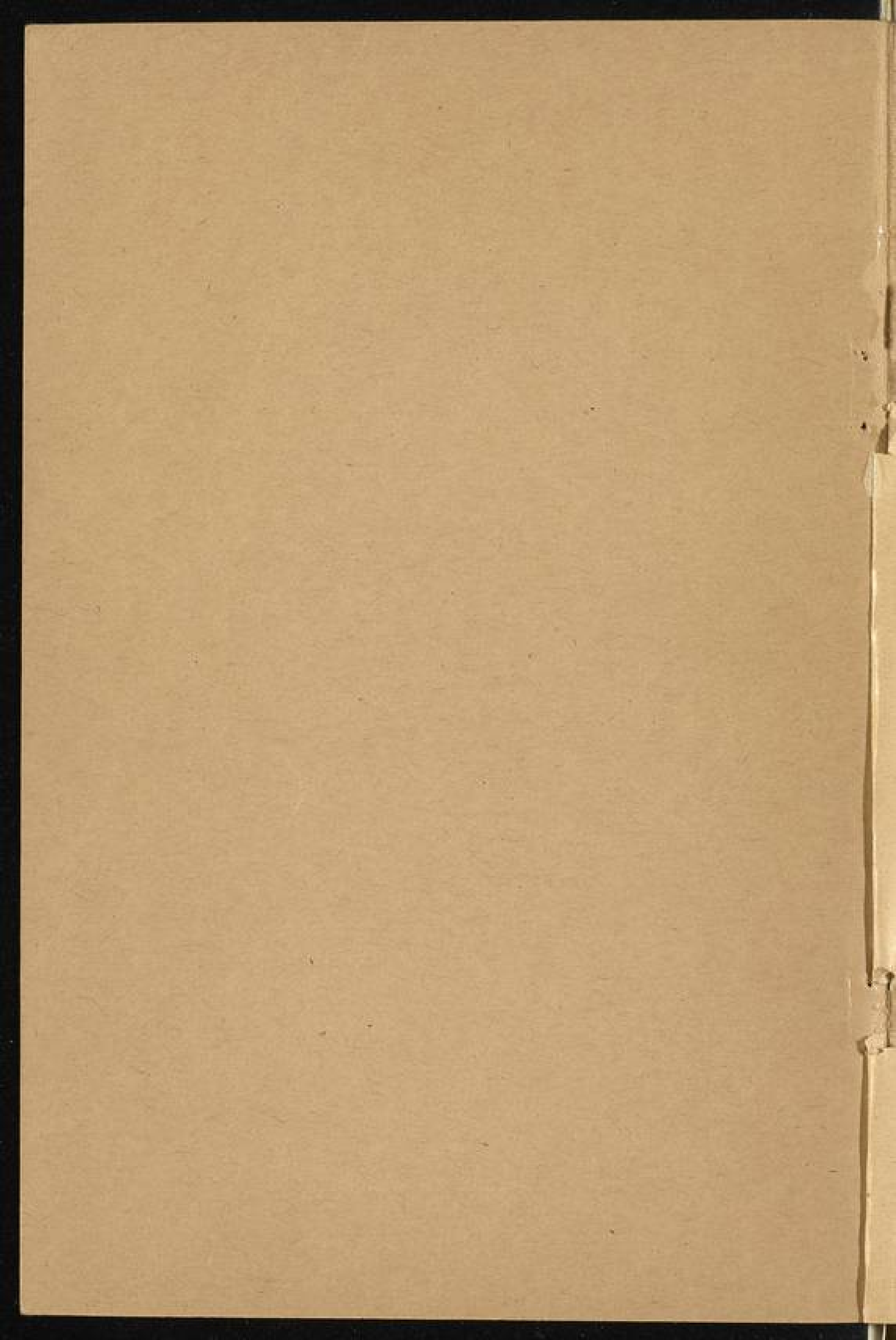
٢ — الإسلامية الدولية .

٣ — الجامعة الإسلامية وجامعة العصيان الحبشية والجامعة العربية .

٤ — نظام الحكومة الإسلامية .

ملاحظة :

إن عن لك شىء فى هذا الكتاب فاكتب إلى المؤلف بالمنصورة « شباك البريد » .





شارع فاروق — تليفون : ٥٠٩٣٨

الثمن ٢٥ قرشاً